جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

فَنُّ التَّرجَمَةِ الذَّاتِيَّةِ وَالغَيْرِيَّةِ بَينَ طَه حُسين ومُحمَّد حسين هِيكل " دِرَاسةٌ تَحلِيليَّةٌ مُوازِنَةٌ"

The art of self- and heterosexual translation between Taha Hussein and Muhammad Hussein Heikal, “a balanced analytical study” Individual and Societv

إعداد

د. عطية محمود محمد حسانين

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الثاني-مايو)

(الجزء الرابع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

فَنُّ التَّرجَمَةِ الذَّاتِيَّةِ وَالغَيْرِيَّةِ بَينَ طَه حُسين ومُحمَّد حسين هِيكل " دِرَاسةٌ تَحلِيليَّةٌ مُوازِنَةٌ"

عطية محمود محمد حسانين

قسم الأدب والنقد، الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: ammohammad@ju.edu.sa

الملخص

تستهدف هذه الدراسة التي هي بعنوان " فن الترجمة الذاتية والغيرية بين طه حسين ومحمد حسين هيكل.. دراسة تحليلية موازنة" الحديث عن هذا الفن عند الأديبين الكبيرين اللذين أثرا في الحركة الأدبية في مصر خاصة وفي الأدب العربي عامة. بأسلوبهما الذي يحمل ملامح الجدية والقدرة، فكانا صدى لعصرهما، ونبضاً لمجتمعهما؛ رغبة في الإصلاح والنهوض. تضم هذه الدراسة أبرز ملامح الاتفاق والافتراق في فن الترجمة عند الأديبين، وما تميز به أحدهما دون صاحبه، والملامح النفسية لشخصيتهما وتصوير الذات والغير، والسياقات والعلاقات الخارجية التي تحدد شخصياتهما، أما ما اشتركا فيه من ظواهر عامة كالعصر، والسياسة، والحياة الشخصية،..... وغيره، فقد تركته للدراسات الأدبية والتاريخية المطوَّلة التي تعطي هذا الكيان الكبير قدْره من التفصيل والتحليل. ولا ينكر أحدٌ أنَّ السمات الفنية التي تميَّز بها فن التراجم سواء الذاتية أو الغيرية أو الروائية منها العامة المشتركة بين كافة التراجم كالتناول التاريخي والاجتماعي والحياة السياسية، ومنها الخاصة الذي ينفرد به كل أديب في تناوله وتصوره وبنائه الفني، ففنُّ الترجمة كأدب شخصي له صفات تختلف عن غيره من الشعر والنثر؛ لأنه تصوير حقيقي للذات يحتاج إلى التنقيب والبحث والتعليل في ميادين التاريخ الشخصي، كل ذلك هو جزء من التناول في هذا البحث؛ لبيان ما تميز به كلاهما في عرض تقنيات أدب السيرة والترجمة وآلياته.

الكلمات المفتاحية: معالم الذات، الترتيب الزمني، الملامح النفسية، البناء الفني، ملامح الشخصية.

The art of self- and heterosexual translation between Taha Hussein and Muhammad Hussein Heikal, “a balanced analytical study”

Attia Mahmoud Mohamed Hassanein
Department of Literature and Criticism, Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Egypt.

Email: *ammohammad@ju.edu.sa*

Abstract:

This study, entitled “The Art of Translation between Taha Hussein and Muhammad Hussein Heikal...a balanced analytical study,” aims to talk about this art among the two great writers, who influenced the literary movement in Egypt in particular and in Arabic literature in general. With their style, which carries features of seriousness and ability, they were an echo of their era and a pulse of their society. A desire for reform and excellence.This study includes the most prominent features of agreement and difference in the art of translation among the two writers, what distinguishes one of them from the other, the psychological features of their personalities, the portrayal of the self and others, the external contexts and relationships that define their personalities, as for the general phenomena in which they shared such as the era, politics, and personal life,... ...and others, I left it to the lengthy literary and historical studies that give this large entity its level of detail and analysis. No one will deny that the artistic features that distinguish the art of translations, whether personal, non-fiction, or narrative, are the general ones that are common to all translations, such as historical, social, and political life, and the specific ones that are unique to each writer in his approach, conception, and artistic construction. The art of translation as personal literature has characteristics that differ from Other poetry and prose; Because it is a true portrayal of the self that requires exploration, research, and explanation in the fields of personal history. All of this is part of the discussion in this research. To show what distinguished them both in presenting the techniques and mechanisms of biography and translation literature.

Keywords: *Self landmarks , Chronological order, psychological features, technical construction, Personality features .*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

فن الترجمة نوع أدبي وثيق الصلة بفصيلة "الأدب الشخصي" الذي تتضح فيه الصورة الذاتية أكثر من غيره عن طريق مضمونه الذاتي الآفاق، فالتواجد الذاتي فيه مطلوب بل هو العنصر الأساس، وهو أدب أصيل في التراث العربي، ولكنه ظل غامضًا – في صورته الفنية – حتى وفَدت إلينا من الأدب الغربي، مثله مثل باقي الفنون الحديثة، وفنون الحداثة، وما بعد الحداثة أيضا.

فـ"التراجم الشخصية" فن حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التاريخ، ودخل عالم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الأديب في موضوعه، والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره"(١).

هو في الأصل ترجمة للذات أو للغير، والأسماء المعادلة لها كاليوميات والذكريات التي بها أحداث ذاتية محضة، وأخرى كالرِوايات والمذكرات التي تحمل مع الذاتية الارتباط بأحداث كبرى داخل الأدب الشخصي يترقبها الآخر، كل هذه التسميات لها دور فعَّال فِي تسجيل التاريخ سواء أكان ذلك بصورة مجازية أم بصورة حقيقية، فهي تشكّل جزءا من تجربة الشعوب بوصفِها إحدى أدوات التعبير الفني التي يتلقاها القارئ دون معاناة أو تكلّف، متجاوزا ذاتيتها إلى معالم القومية والوطنية.

فهذه البحوث الشخصية وما لها من علاقة بالجانب النفسي والتاريخي والسياسي وغيره، هي ميدانَ ذو طابع شاق؛ لأنها – في الحقيقة– علم له أصول وطرق ومناهج وفدت إلينا في صورتها الحديثة من الغرب وإن كانت الأصول التاريخية لأدبنا لا تخلو منها في صورة شمولية غير مفصَّلة.

وقامت مدوَّنة هذا البحث على الطبعات الأصيلة في الغالب، فقامت الدراسة على طبعة دار المعارف لكتاب "الأيام" لسنة ١٩٦٩م، وكذلك كتاب" الفتنة الكبرى..عثمان"، أما كتاب" أديب" فاعتمدت على مطبعة مكتبة الأسرة ١٩٩٨م، هذا ما يخصُّ الدكتور طه.

أما الدكتور محمد هيكل، فاعتمدت على طبعة دار المعارف أيضاً في الجزء الثاني من كتاب" مذكرات في السياسة المصرية" الطبعة الثانية، وكذلك كتاب " بين الخلافة والملك .. عثمان"، أما الجزء الأول من كتاب " مذكرات في السياسة المصرية"، فقد اعتمدت على طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥١م، لعدم توفر نسخة دار المعارف لدي، أما قصة " زينب" فقد اعتمدت فيها على نسخة مؤسسة هنداوي، دون تاريخ للطبعة، بالإضافة إلى كتاب " مذكرات الشباب " طبعة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦م، وغيرها من الكتب.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في إحياء الماضي، فهو روح التلاقي والالْتقاء؛ ليُخصّص لوحاتٍ لإعادة قراءتها ودمجها في هُويّة سردية جديدة؛ فتظهر ثنائية جديدة بين الماضي والحاضر، لينْبلج الأثر على لسان صاحبه حيناً، ولا يغيب أن القالب الذاتي والغيري له طبيعةَ خاصة، من حيث البنية السردية التي هي قوام التراجم، والأسلوب التحليلي وهو العنصر الغالب على الأديبين الكبيرين، سواء أكان تحليلاً نقدياً أو تأملياً أو احتجاجيًّا أو تعليليًّا، فكان لهما – في كل ما كتبا– موقفٌ مؤيدٌ أو معارضٌ، وكذلك الأسلوب التصويري سواء كان تصويرا حقيقيا للشخصيات أو نفسياً، فللعقل الدور الأكبر في الترجمة الذاتية والغيرية وكذلك الخيال على استحياء، فالأديبان لهما أثر كبير في الأدب العربي، فهما كاتبان، وصحفيَّان، ومؤرِّخان، وسياسيَّان، وروائيَّان، وناقدان، وتنْويريَّان، ومفكّران، تعلما اللغة الأجنبية في

بعثتيهما، فكانا نهرا من العطاء المتنوع.

منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة على المنهج الفني الاستقرائي والمنهج التاريخي، لاستنباط الأحداث ذات المرجعية التاريخية التي تبحث في طياتها عن علاقة الماضي بالحاضر، فتظهر حبكة بنسيج جديد تربط بين تشظي الذات والآخر؛ لتؤدّي وظيفة جمالية ودوراً أساسيا في التوافق بين قسمات هذا التاريخ وما يحمله من نَفوذ ذاتية وغيرية ذات عبر.

هدف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلي بيان القواسم البارزة التي تشاركا فيها أو انفرد بها أحدهما دون صاحبه في غضون هذين العملين (التراجم الذاتية – والغيرية)، كما يسعى إلى بيان وجوه الإبداع لديهما، وتسليط الضوء الموضوعي والفني على هذين العملين لاستخراج الكامن والثمين؛ والتعرف عليهما من خلال سيرتهما وتراجمهما.

كما التمستَ بهذا العمل الإسهام في الكشف عن مواهبهما المتعددة في الأدب، والصحافة، والسياسة، والتاريخ، والقصة، ومدى ارتباطهما بسيكولوجية المجتمع المصري خاصة، ومعرفتهما بطبائع المجتمعات العربية والغربية.

إشكاليات الدراسة:

تحددت إشكاليات الدراسة في الاستفهامات الآتية:

-ماهية فن السير الذاتية والغيرية (الترجمة الذاتية والموضوعية)؟

-هل نجح الأديبان الكبيران في تطبيق معايير وفنيات الترجمة؟

-ما عوامل الاتفاق والاختلاف بين الأديبين، وما منهجهما في التراجم التاريخية؟

– أي الطرق الاستعراضية كانت هي الأمثل في الترجمة" الاستعراض التصويري" أو "السرد التاريخي الواقعي"؟

الدراسات السابقة:

١. إن الدراسات التي كُتبت حول فن الترجمة كثيرة قد يعجز الإنسان عن حصرها، من بين هذه الدراسات كتاب: الترجمة الشخصية د. شوقي ضيف، سنة ١٩٥٦م، وكتاب السيرة تاريخ وفن، د. ماهر حسن فهمي،١٩٧٠م. وكتاب الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث د. يحيى إبراهيم عبد الدايم، ١٩٧٤م، وكتاب أدبيات أدب السيرة الذاتية د. عبد العزيز شرف سنة ١٩٩٢م، وكتاب السيرة الذاتية.. الميثاق والتاريخ الأدبي لفيليب لوجون" ترجمة: عمر حلي، سنة١٩٩٤م. وكتاب "فن السيرة" لإحسان عباس سنة ١٩٩٦م، وغيرها من الكتب التي أفدتَ منها، ولا سيما كتاب فن السيرة لإحسان الذي تناول كتاب الأيام غير مرة، وتناول الحديث عن قصة" زينب" للدكتور هيكل.

– أما عن الموازنات بين التراجم، فقد وازن " سيد قطب" بين عدة طرق في الترجمة من بينها، طريقة د. طه، وطريقة د. هيكل، في كتابيه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه" و "كتب وشخصيات"

ففي كتابه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه" وصف طريقة طه حسين بأنها بين بين؛ ليست ترجمة خالصة، ولا أدباً خالصاً، وإنما تدخل تحت عالم " الاستعراض التصويري"، فهو يرسم ملامح الشخصية، ويصور انفعالاتها واستجاباتها الشعورية إلا أنها ليست ترجمة خالصة(٢).

وقال قطب: طريقة هيكل ينقصها الحساسية الشاعرية، وهي عنصر أصيل في الترجمة؛ لأنها تكفل الحياة للسيرة، كما ينقصه إدراك روح الفترة التي عاشت فيها الشخصية، ومن ثم فهو لا يحسن إدراك العوامل الشعورية التي كانت تعتمل في نفس

الشخصية التي عاشت في هذا الإطار(٣).

وفي كتابه الآخر" كتب وشخصيات" كتب فصلا تحت عنوان" دراسة الشخصيات بين العقاد وهيكل وطه"، فصَّل فيه القول عن طرائق الثلاثة، قال في دراسات هيكل:" تنقصها وثَبات الفكر، وأريحية الشاعرية، فهي استطراد تفسيري، أشبه بالمذكرات القانونية، و"الدفوع الفرعية" مع الشرح والتفسير والتحقيق، لا تطلع فيها على أفق مجهول ولا عالم مكنون"(٤).

ويقول:" أما طريقة الدكتور طه. فطريقة الاستعراض التصويري الهادئ البطيء الجميل الذي ترتسم فيه الملامح والسمات على هينة واتئاد، ولكنه لا يثب ولا يتعمق ولا يفاجئ بمجهول في النفس الإنسانية أو في الحياة"(٥).

لا ينكر أحد ما أشار إليه الكاتب " سيد قطب" – رحمه الله تعالى–، ولكن لكل كاتب طابع واتجاه وقلم خاص، فبعضهم يستميله الاتجاه القانوني والسياسي كالدكتور هيكل، وبعضهم يستميله الاتجاه التصويري الاستعراضي كالدكتور طه حسين وربما كان لآفة العمى دور في هذا الاستبطاء والاستعراض، كما أن للشاعرية دوراً في تصوير شخصيات العقاد، فلكل طابع واتجاه وغَلَبة قد يقتضيها حال المترجم له.

فسيد قطب – رحمه الله – يبحث عن دراسة متكاملة المعالم تجمع بين وقائع التاريخ والشخصية وبين السرد المتخيل في صورة ملوَّنة بمؤثرات الشخصية واستجابتها وانفعالاتها للأحداث، فيلعب الكاتب فيها دور الوساطة بين الماضي والحاضر، فينتج شكل جديد قادر على التعبير ليس بصورة تاريخية ولا حياتية خالصة بل بصورة ممزوجة متشابكة تحمل سردية الكاتب وطابعه التخييلي وهويته واقتباساته.

حدود البحث

ولتجلية هذا الاتجاه الأدبي والوقوف على بعض ملامحه، احتوى هذا العمل على مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة، جاءت: المقدمة، لبيان دوافع البحث، وما يتعلق به. أما التمهيد: فقد جاء بعنوان: " بين التراجم الذاتية والغيرية والسير". وأما المبحث الأول فكان بعنوان: الترجمة الذاتية للأديبين، ويتضمن تصوير الذات، وأثر البيئة، ودور المرأة في حياتهما، ومعالم الأسلوب الفني، وأما المبحث الثاني: فيتحدث عن الترجمة الغيرية عند الأديبين، واختِرت الترجمة للشخصيات الإسلامية.. عثمان بن عفان نموذجاً، وفي الخاتمة أشرتَ إلى أهم النتائج والتوصيات. والله الموفق.

التمهيد

الترجمة تعد فنًا من الفنون القصصية التي أخذت طابعاً جديدا في عصر النهضة، يختلف عن طرازها القديم، متأثرة بالآداب الغربية في صورتها الحديثة، عن طريق الترجمة والبعثات والصحف والمجلات، ثم أخذت طريقها في الأدب العربي في السيرة الذاتية والموضوعية.

إن كتابة التراجم عامة تحتاج إلى كم هائل من الحضور والتواصل والإحاطة المعرفية والاجتماعية والتوازن النفسي وغيرها من الدوافع التي تسيطر على الكاتب، والمعارف التي تدفعه لذلك، والمعايير التي اعتمدها في ترجمته، والعلاقات التي أثرت في اختياره إيجابا أو سلبا، سواء أكان هو صاحب السيرة أم يترجم لغيره.

• بين التراجم الذاتية والغيرية والسِّيَر.

كلمة (ترجمة) وردت في معجمات العربية وفيها خلاف حول أصالتها العربية هل لفظها عربيٌّ أو معرَّب، هل هي من الجذر "رجم" أو أن لها جذراً مستقلاً هو" تَرجم"؟[٦].

ويردُّ أحد الباحثين أصل كلمة (ترجمة) إلى اللغة الآرامية، ويرى أن الاصطلاح لم يكن قد جرى على استعمالها حتى أوائل القرن السابع الهجري، حين استخدمها " ياقُوتُ الحموِي البَغْدادي (ت٦٢٦ هـ)" في معجمه بمعنى " حياة الشخص"[٧].

ومعلوم أن (ابنَ الدَّاية[٨]) أول من كتب كتابا في السيرة الطولونية، والراجح أنه مات بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة هجرياً، ولم تُعرف السنة التي وضع فيها البلوي أيضاً كتابه الموسوم ب" سيرة أحمد بن طولون" ، والثابت أنه ألفه بعد موت أحمد بن طولون (ت ٢٧٠هـ)، وبعد انقراض الدولة الطولونية (٢٩٢هـ)، وبعد سنة ٣١٢ هـ وفيها وافى مصر الوزير علي بن عيسى بن الجراح، وقد جرى له ذكر في

هذا الكتاب، كما ذكر فيه الخليفة المقتدر، والمقتدر قُتل في سنة عشرين وثلاثمائة[٩].

وعليه فكلمة (سيرة) أسبق في الاستعمال الاصطلاحي من كلمة (ترجمة).

" ولم يغفل الأدب العربي كتابة كلمة" السير"، وهي بعينها " التراجم" مطولة مستقلة، كما في "سيرة الرسول" لابن هشام برواية ابن إسحاق، وكما في سيرة "عمر بن عبد العزيز" لابن الجوزي،.... إلا أن السير لم تبلغ في الأدب العربي ما بلغته التراجم كثرة وتنوعاً"[١٠]، لأن العصر الحديث ركن إلى استخدام كلمة " ترجمة" أكثر من استعماله كلمة " سير" داخل الآداب الغربية أولاً ثم العربية نقلاً عنها.

فالترجمة الذاتية: " هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره،...وهي مظنة الإغراق والمغالاة غالباً، وشرك للحديث عن النفس والزهو بها وإغلاء قيمتها، ولكنها إذا اعتدلت كانت أصدق ما يكتب عن رجل وأكثره انطباعاً عن حياته"[١١].

ويرى فيليب لوجون حدَّ السيرة الذاتية هو " حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة "[١٢]، ولم تتوان (يمنى العيد) في الرد على فيليب لوجون، فقالت:" إن هذا الحدّ متعسفٌ وقار؛ لأنه ينفي إمكان وجود درجة من التطابق مع المرجعي وعدمه، ولأن مفهوم الميثاق الذي يفرض، حسب رأيه، وجود اتفاق مشترك بين المؤلف والقارئ أو بين مؤلفي السيرة الذاتية والقرَّاء، هو مفهوم غريب عن واقع الأدب، باعتباره يتجاهل الفضاء الذي تخلقه القراءة التأويلية متجاوزة حدود التأويل، ومحدودية التجنيس المفترضة مسبقاً"[١٣].

وأورد لوجون السيرة الذاتية عند (لاروس) بأنها: نوع من الاعترافات مع المذكرات التي تروي أحداثًا يمكن أن تكون غريبة عن السارد"[١٤].

وعند (فابيرو)- في المعجم الكوني للأدب- بأنها: عمل أدبي، رواية، سواء أكان قصيدة أم مقالة فلسفية، الخ... قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم إحساساته"(١٥).

ليؤكد فابيرو – في هذا التعريف- على دور الشعر في تناول السيرة الذاتية أيضًا، وإن كنت أرى أن الاعتماد على الشعر في صناعة السيرة غير مستساغ؛ لأن الشعر تصوير لحالة وجدانية تعبر عن المشاعر وترصد الانفعالات الخاصة، وليس حالة موضوعية ظاهرة أو سمة واقعية حقيقية.

فأول ترجمة ذاتية في تراثنا العربي، كانت من سلمان الفارسي، أوردها ابن سعد في طبقاته، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلا مِنْ أَهْلِ أَصْبهانَ مِنْ قَرْيةٍ يُقَالُ لَهَا جَيٌّ. وكَانَ أَبِي دِهْقَانَ أَرْضِهِ. وَكُنْتُ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ فَمَا زَالَ فِي حُبِّهِ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي الْبَيْتِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ. قَالَ فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّتِي نُوقِدُهَا لا نَتْرُكُهَا تَخْبُو. وكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ فِي بَعْضِ عَمَلِهِ وكَانَ يُعَالِجُ بُنْيَانًا لَهُ فِي دَارِهِ فَدَعَانِي فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي بُنْيَانِي كَمَا تَرَى فَانْطَلِقْ إِلَى ضَيْعَتِي فَلا تَحْبَسْ عَلَيَّ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ شَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ ضَيْعَةٍ وكُنْتَ أَهَمَّ عِنْدِي مِمَّا أَنَا فِيهِ. فَخَرَجْتُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ لِلنَّصَارَى فَسَمِعْتُ صَلاتَهُمْ فِيهَا فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ.....إِلَى أَنْ جَاءَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَشَهِدَ مَعَهُ الْخَنْدَقَ "(١٦)، ثم تبعه بعد ذلك ترجمات عديدة من النوع الذاتي، ومن الأمثلة – في تراثنا القديم- على هذا اللون كتاب (الاعتبار) للفارس العربي المسلم أسامة بن منقذ الذي يعدُّ نموذجا عاليا للمذكرات والتراجم الذاتية، قبل أن يكتب بيبس (Pepys) الإنجليزي، وريتز (Rets) الفرنسي مذكراتهما بقرون (١٧).

والترجمة الذاتية أُحادية الجانب بخلاف الترجمة الغيرية التي تحمل جانباً من الحوار والإبداع والتصوير بجوار الحقيقة ولذة القص والسرد والإقناع، فالكاتب يتناولها عن الغير إلى الآخر فهي أكثر موضوعيةً من الترجمة الذاتية،" فالصدق

المحض في الترجمة الذاتية – رغم أنها أصدق الفنون الأدبية تصويراً للإنسان– هو مجرد محاولة، وهو صدق نسبي، وليس شيئاً متحققاً "[١٨].

فالترجمة الغيرية (الموضوعية) حَديثٌ عن الغير إلى الآخر، لذا تتطلب قدراً من المعارف مصوغة بطريقة خاصة، تحَتاج إلى البراعة الأسلوبية، والقصصية، والوصف الدقيق في رسم الأشخاص، في ثوب يتميز بالجدية من أجل المعالجة لا الانتقاض.

"والترجمة للأشخاص قديمة قدم الإنسان نفسه، ولا شك أنها ظهرت مع الكتابة في الأمم التي عرفت الكتابة واستخدمتها في مسائل حياتها، .... وكثيراً ما تأتي الترجمة مع التاريخ موازية له في النشأة؛ لأنها في الحق نوع من التاريخ للرجال على نسق معين"[١٩].

ومع بداية التدوين وانتشار الكتابة في العصر العباسي ظهرت الترجمة الغيرية مباشرة، ففي نهاية القرن الثاني ظهرت مؤلفات عديدة، جاءت على هذا الترتيب، أولها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (ت٢٣١هـ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦)، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، والموشح للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)،... وغيرها كثر يصعب حصرها أو ترتيبها.

فبين الترجمة الذاتية والغيرية خصائص مشتركة في بعض النواحي كالاعتماد على الخبرة الشخصية والتسلسل الزمني وتأمُّل الأحداث وغيرها، ولكن هناك اختلاف عام في اتجاه انتباه المؤلّف، ففي الترجمة الذاتية يكون الاهتمام منصبًّا على الذات، وفي الترجمة الغيريةَ يكون قائماً على تناول الآخرين.

المبحث الأول

الترجمة الذاتية بين طه حسين وهيكل

مهما ارتمى الإنسان في أغوار الماضي ليسطّر لنا ترجمته الذاتية التي لا تخلو من تطور شخصيته، فإنه – في الأصل- ينتمي إلى قيمة واقعية، وهذا لا يعني انعدام الجانب الأدبي، بل يقدم نفسه ويضفي على عالمه صبغة جديدة، بها مسافات للتحليل والتخييل والتأملية التي تتداخل فيها الأُطر وتتآلف فيها الوظائف، مستعينا بشعوره المنخرط في سياق السرد التأويلي المركب.

وقد لا يستطيع الإنسان التزام الصدق المحض؛ لأن ذاكرته يصعب عليها الدقة الموقوتة، فلابد من إغفال بعض التواترات الزمنية أو نسيانها بالكلية.

• **أولاً: معالم الذات عند الأديبين:**

وتصوير الذات للأديبين الكبيرين طه حسين ومحمد هيكل يعكس لنا وقائع ذاتية وأحداثاً تاريخية لهما صداهما في حياتهما وتأثيرهما البالغ في تكوين شخصيتهما، مع أثر بالغ الأهمية في المجتمع المصري سياسياً وأدبياً واجتماعياً.

• **د. طَه حُسين:**

فمنذ ظهرت الترجمات الذاتية، تحدث د. طه حسين عن نفسه في صفحات تفصيلية وحلقات متتالية في مجلة (الهلال)، نشر الجزء الأول مسلسلا في مجلة الهلال من ١/ ١٢/ ١٩٢٦م إلى ١/ ٧/ ١٩٢٧م بانتظام، شهرياً. ونشر الجزء الثالث مسلسلا في " آخر ساعة" من ١٩٥٥/٣/٣٠م إلى ١٩٥٥/٦/٢٩م بانتظام، أسبوعياً، ثم جمعها بنفسه في كتابه المعروف بـ(الأيام)، وقد نشر الجزء الأول بالقاهرة سنة ١٩٢٩م، والجزء الثاني بالقاهرة سنة ١٩٤٠م، والجزء الثالث بالقاهرة سنة ١٩٧٢م، وكان قد نشره في بيروت سنة ١٩٦٧م بعنوان " مذكرات طه حسين"[٢٠] . الذي برع في عرضه عرضا روائياً في قالب فني، "فإنه قد جمَّد تجاربه

دفعة واحدة، حتى كان هذا الكتاب- على أنه من أوائل ما كتب- أغنى كتبه وأحفلها وأكثرها إمتاعاً، وأقربها إلى العمل الفني" [٢١]، تحدث فيه عن نفسه، ثم أكمل ترجمته الذاتية في كتاب ثان له سمَّاه (أديب).

١. تصوير الذات:

مهما اتفق النقاد والكتاب أو اختلفوا مع طه حسين فهو أديب ملأ الأسماع العربية والعالمية، وكانت كتبه ومقالاته محط نقاش وخصومات في الرأي، وله أنصار وتلاميذ يعشقون أدبه ويتابعونه، فطه حسين ليس شخصاً عادياً بل عقل إنساني له تفكير خاص وتطور فريد في حياته، فهو ذخيرة من ذخائر الأدب وأثر من آثار التاريخ ، " ولد طه حسين في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩م في عزبة "الكيلو" التي تقع على مسافة كيلو متر من "مغاغة" بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط"[٢٢].

عاش في طفولته يؤمن بالأشباح "والعفاريت التي تخرج من تحت الأرض وتملأ الفضاء حركةً واضطراباً وتهامساً وصياحاً"[٢٣]. وهي صورة من العادات والتقاليد التي كانت تفعلها الأمهات حين نُحدث ضجيجاً أو نرفض النوم في طفولتنا.

نشأ طه حسين في أسرة كثيرة الإنجاب :" كان سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، وخامس أحدَ عشرَ من أشقّته"[٢٤]. فهو لا يشهر بمكانة أو منزلة بين إخوته، فالأمر غامض ومبهم، ولا يستطَيع أن يحكم في ذلك حكماً صادقاً[٢٥].

أما والده حسين علي، فكان يعمل موظفاً في شركة السكر التي كانت تملك أراضي الدائرة السنية في تلك المنطقة، وأمه "رقية بنت موسى محمد"، تزوجها أبوه بعد مرض زوجته الأول[٢٦].

وهو يشبه العقاد في هذه النشأة الصعيدية والأخوة والوالدة، فقد كان للعقاد إخوة أشقاء وغير أشقاء، وكانت والدته الزوجة الثانية – أيضاً- لأبيه بعد موت زوجته الأولى[٢٧]، ولكن لم نشعر في حياة العقاد بالكد والكفاح والحياة المظلمة

التي تملؤها الخرافات والأساطير، كما رأينا في حياة طه حسين.

٢.البعد النفسي في الترجمة الذاتية:

برع طه حسين في تصوير ملامحه النفسية وحالته، فهو دائما يرى نفسه في سجن لا تفتح أبوابه، وفي ظلام لا ينجلي دجاه، وفي بيت لا يستطيع أن يتسلق سياجه، في جسم نحيف ضعيف، وأجفان متلاصقة،" كانت أخته تشُده من ثوبه فيمتنع عليها، فتحمله بين ذراعيها كأنَّه الثمامة، وتعدو به حيث تُنيمه على الأرض وتضع رأسه على فَخذ أُمه، ثم تعمدُ هذه إلى عينيه المظلمتين فتفتحهما واحدةً بعد الأخرى، وتقطر فيهماَ سائلاً يؤذيهَ ولا يجدي عليه خيراً"(٢٨).

١. فهو لا ينفك أسيرا وسجيناً للظلمة الدائمة، رهيناً لمحبسيه جسده وبيته، كما صوَّرها من قبل أبو العلاء، فهو دائما يرغب في الانطلاق والخروج من البيت، ولكن إحاطة البيت بالمخاوف يميناً وشمالاً كان يجعله يقضي أيامه ولياليه مضطرباً، " وكان يخاف أشدَّ الخوف أشخاصاً يتمثلها وقد وقفتْ على باب الحجرة فسدَّته سدًّا وأخذت تأتي بحركاتٍ مختلفة أشبه بحركات المتصوفة في حلقات الذكر"(٢٩).

٢. كان طه حسين مرهف المشاعر، رقيق الحس، جياشاً جريئاً، مما كان يوقعه في الحزن والبكاء بسبب ما به من عمى، " كان يُحسُّ من أمه رحمة ورأفةً، وكان يجد في أبيه لينا ورِفقاً، وكان يشعر من إخوته بشَيءٍ من الاحتياط في تحدُّثهم إليه، ولكنه كان يجد إلى جانب هذه الرحمة والرأفة من جانب أمه شيئا من الإهمال أحياناً، ومن الغلظة أحياناً أُخرى، وكان يجد إلى جانب هذا اللين والرفق من أبيه شيئاً من الإهمَال أيضاً، والازورار(٣٠) من وقت إلى وقت، وكان احتياط إخوته وأخواته يؤذيه؛ لأنه كان يجد فيه شيئاً من الإشفاق مشوباً بشيء من الازدراء.... ولكن لم تَلْبَثْ هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزنٍ صامتٍ عميقٍ، ذلك أنه سمع إخوته يصفون ما لا علْمَ له به، فعلم أنَّهم يرَوْنَ ما لا يرى"(٣١).

٣. ظهرت في شخصيته الرزانة والإشفاق والحياء بصورة لا حدَّ لها، وفي نفس الوقت عرف لنفسه إرادة وقوة، متمثلا حياة أبي العلاء الذي حرَّم على نفسه الدِّبْس، لأنه سقط على صدره فرآه تلاميذه، أعانه على ذلك حادثة اللُّقمة التي غَمسهَا من الطبق بكلتا يديه، فأغرقوا إخوته في الضحك، وأجهشت أمُّه بالبكاء، وحزن أبوه، أما هو فلم يعرِف كيف قضى ليلته(٣٢).

٤. وبعد هذه الحادثة التي أخذتْه بألوانٍ من الشدة في حياته، اتخذ لنفسه نظاماً، بدأ بذلك "حين سافر إلى أوربا،.. فكان يحمل إليه الطعام في غُرفته، .... ولم يترك هذه العادة إلا حين خطَب قرينته،... وكان قليل الأكل لا لأنه كان قليل الميل إلى الطعام، بل لأنه كان يخشى أن يوصف بالشَّره "(٣٣).

٥. وكان عنيداً متمرداً في طفولته، يصف أمَّه بالإهمال والغلظة لانشغالها بأعباء الأسرة الكبيرة عنه، فإذا أخطأ عنفته ونهرته وأكثرت من لومه وتأنيبه، ويبدو في النص الآتي ما يدل على عناده، كما حدث معه إذْ " مضى حتى وصل إلى الكرار(٣٤)، وانعطف إلى الزاوية التي بها القُرمة(٣٥)، وأهوى إلى الساطور، وهو أغلظ ما كان عليها من سكّين وأحَدُّه وأثقلُه، فأخذه بيمينه وأهوى به إلى قفاه ضرباً! ثم صاح، وسقط الساطور من يديه، وأسرعت أمُّه إليه، وكانت قريبة منه لم تحفل به حينما مرَّ بها، فإذا هو واقف يضطرب والدم يسيل من قفاه،.. وما أسرع ما ألقتْ أمُّه نظرة إلى الجرحِ!، وما أسرع ما عرفتْ أنه ليس شيئاً، وما هي إلا أنِ انهالت عليه شتماً وتأنيباً، ثم جذبته من إحدى يديه حتى انتهت به إلى زاوية من زوايا المطبخ فألقته فيها إلقاء، وانصرفت إلى عملها، ولبث صاحبنا في مكانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يبكي ...وقَربت المغرب، وإذا هو يُدْعَى ليجيب أباه، فخرج خَزْيانَ متعثراً حتى انتهى إلى المنظرة"(٣٦).

٦. وفقدانه بصره جعله أرهف شعورا وأسرع حزنا وتأثرا، هذه الآفة التي جعلته يعيش حياة بائسة، ومعيشة قاسية، يتحدث طه عن إصابته بالعمى، ومدى الإهمال الذي

لحق به في أسلوب يحمل الأسى والحزن، فيقول حينما أصابه الرمد وأصاب أخته مرض مصحوب بالهمود والفتور وكيف طالتهما يد الإهمال، ليس هما بعين الخصوص بل كل :" الأطفال في القُرى ومدن الأقاليم معرَّضون للإهمال، ولا سيما إذا كانت الأسرة كبيرة،... ولنساء القرى ومدن الأقاليم فلسفةٌ آثمةٌ وعلم ليس أقل منها إثماً، يشكو الطفل، وقلَّما تُعنى به أمُّه ... وهي تعتمد على علم النساء وأشباه النساء، وعلى هذا النحو فَقَدَ صبيُّنا عينيه؛ أصابه الرمد فأُهمِل أياماً، ثم دُعي الحلاَّق فعالجه علاجاً ذهب بعينيه، وعلى هذا النحو فَقَدَتْ هذه الطفلة الحياة؛ ظلت فاترةً هامدةً محمومة يوما ويوما ويوما، وهي ملقاةٌ على فراشها في ناحيةٍ من نواحي الدار"(٣٧).

٧. عاش طه حسين صراعا نفسياً مريرا وعناء كبيرا مع كُتَّاب القرية ؛ لإهماله في حفظ القرآن الكريم في بداية الأمر، وتردَّد الطفل طه على الكُتَّاب كثيرا،" ولكنه لا يعرف كيف حفظ القران، ولا يذكر كيف بدأه ولا كيف أعاده"(٣٨). ثم حفظ القرآن ونَسيَه، فعاد إلى الكُتاب ثانيةً " ثم بدأ سيِّده يُقْرِئه القرآن من أوَّله، شأنه مع مَنْ لم يكنَ شيخاً حافظا"(٣٩).

وأتقن الصبي طه القرآن الكريم، بعد أن " قضى سنة كاملة يتردد على بيت المفتش، ويقرأ القرآن عليه، حتى أتقن التجويد برواية حفص"(٤٠).

وأجاد بعض العلوم والقصص والحكايات الصوفية و" اتصلت أيام الصبي بين البيت والكُتاب والمحكمة والمسجد وبيت المُفتّش ومجالس العلماء، وحلقات الذكر"(٤١).

٨.وكان الصبي طه ضعيف البنيان، نحيلاً شاحباً، يقول مَن حَفظَ القرآنَ الكريم لقَّبوه بالشيخ، "وإن لم يتجاوز التاسعة؛ لأنه حفظ القرآن، ومن حَفظ القرآن فهو شيخ مهما تكن سنه..... وكان شيخنا الصبي قصَيراً نحيفاً شاحباً زَرِيَّ الهيئة "(٤٢).

٩. انتابه الحزن والسآمة، ولم يثق فيمن حوله، لأن من حقّ طه الصبي الشيخ أن يرتدي العمَّةَ والجُبَّةَ والقُفطان، إلا أنه كان أصغر من أن يحمل العمَّة، ومن أن يدخل فيَ القُفْطان،" وما هي إلا أيام حتى سئم لقب الشيخ، وكره أن يدعى به، وأحسَّ أن الحياة مملوءة بالظلم والكذب، وأن الإنسان يظلمه حتى أبوه، وأن الأبوَّة والأمومة لا تعصم الأب والأم من الكذب والعبث والخداع، ثم لم يلبثْ شعوره هذا أن استحال إلى ازدراء للَقَب الشيخ، وإحساس بما كان يملأ نفس أبيه وأمه من الغرور والعجب "(٤٣).

١٠. وكان طه حسين وفياً أشد الوفاء، فبعد أن مات أخوه الطبيب بمرض الكوليرا، الذي فتك بمصر في تلك الفترة سنة ١٩٠٢م، يوم الاثنين ٢١ أغسطس من هذه السنة، "ومن ذلك اليوم تغيَّرت نفسيَّة صبيِنا تغيرا تاماً، عرف الله حقا، وحرص أن يتقرب إليه بألوان التقرُّب بالصدقة حينا، وبالصلاة حينا، وبتلاوة القرآن مرة ثالثة، ولقد شهد الله ما كان يدفعه إلى ذلك خوف ولا إشفاق ولا إيثار للحياة، ولكنه كان يعلم أنَّ أخاه الشاب كان من أبناء المدارس، وكان يُقصّرُ في أداء واجباته الدينية... وقدَّر في نفسه أن أخاه مدين لله بالصوم والصلاَة ثلاثة أعوام كاملة، وفرض الصبي على نفسه لَيُصلّينَّ الخمسَ في كل يومٍ مرتين: مرةٍ لنفسه ومرةً لأخيه، ولَيصومنَّ من السنة شهرَين: شهراً لنفسه وشهراً لأخيه، ولَيكْتمنَّ ذلك عن أهله.....ولقد وفَى الصبي بهذا العهد أشهراً، وما غيَّر سيرته هذه إلا حين ذهب إلى الأزهر، ولقد تعزَّى عن هذا الفتى إخوته وأخواته، ونسيه من نسيه من أصحابه وأترابه، وأخذت ذكراه لا تزور أباه الشيخ إلا لماماً، ولكنَّ اثنين يذْكرانه دائماً، وسيذكرانه أبداً أوَّل الليل من كل يوم: هما أمُّه وهذَا الصبيُّ"(٤٤).

كل ذلك كان له أثره على طه حسين، وكوَّن في وجدانه مشاعر وأحاسيس أطبق عليها البؤس، ولوَّنها الشقاء، مما دفعه إلى عدم التعاطف أحيانا، وقسوته في الحكم على أسرته التي رسمت في خياله صورة غير سويَّة أظهرتها الأيام، فهو"

يصطدم بالناس، ويقلق وينزعج ويسوء ظنه فيهم، وهو يحس أن كل المنغصات الخارجية ترسب في ذاكرته، فتظل تبتعد به عنهم، وتحفزه إلى الهجوم عليهم حين تحين الفرصة"(٤٥).

٣.أثر البيئة في ثقافته وارتقائه:

أما حديث طه عن البيئة الطبيعة فنتبيَّن منها وشائج وقيود عديدة ومتشابكة، نستكشف فيما كتب عنها قدرا من الخصوصية والتأمل والنضال والكفاح ومحاولته إعادة التوازن النفسي، لكي يسترد قواه العقلية والعاطفية، انقسم حديثه عن البيئة التي عاشها قسمين:

أ. أثر القرية في ثقافة طه حسين: تحدث فيها عن معاناته المكانية والزمانية، وهو يحدّثُ نفسه مفسرا لها وشارحاً، فقد زوَّدته القرية بحفظ القرآن الكريم، وبعض القصَص والحكايات، ولنكتفي من هذا القصد بالوقوف على النقاط الآتية التي عانا منها الصبي طه، أولها: آفة العمى التي منعته الحرية والانطلاق، وثانيها: سياج بيته الذي لم يستطع أن يتسلقه أو ينسل من بين ثناياه، فـ"يذكر أن قصب هذا السياج كان مقتربا كأنما كان متلاصقاً، فلم يكن يستطيع أن ينسل في ثناياه، ويذكر أن قصب هذا السياج كان يمتد من شمال البيت إلى حيث لا يعلم له نهاية، وكان يمتد عن يمينه إلى آخر الدنيا،... وذكر أنه كان يحسد الأرانب التي كانت تخرج من الدار "(٤٦)، وثالثها: ما يحفُّ بيته من المخاطر،" عن يمينه فقد كان هناك العدويُّون، وهم قوم من الصعيد يقيمون في دارٍ لهم كبيرة يقوم على بابها دائماً كلْبان عظيمان لا ينقطع نباحهما،... ولا ينجو المارُّ منهما إلا بعد عناء ومشقة، وأما عن شمالهِ فقد كانت هناك خيامٌ يقيم فيها " سعيد الأعرابي"، الذي كان يتحدث الناس بشرِه ومكره وحرصه على سفك الدماء"(٤٧)، رابعها: قيود الخرافات والأساطير التي صنعها طه لنفسه، فقد كان" يقضي شطراً طويلاً من الليل في الأهوال والأوجال والخوف من العفاريت، حتى إذا وصلت إلى سمعه أصوات النساء يعدن إلى بيوتهنَّ

وقد ملأن جِرارهن من القناة وهنَّ يتغنَّين " الله يا ليل الله.... "عرف أنْ قد بَزَغَ الفجر، وأن قد هبطت العفاريت إلى مستقرِها من الأرض السُّفلي"(٤٨).

تلك القيود البيئية جعلته يعاني الغربة النفسية وهواجس الخوف التي جعلته قعيد البيت مقيَّد الحرية والحركة دون غيره من أخواته وإخوانه وأطفال قريته الآخرين.

ب.أثر المدينة في ثقافة طه حسين: وكما كان للمجتمع القروي أثره على طه حسين، فبعدما فقد بصره بسبب الإهمال الصحي شبه المتعمد في صباه، ظَنَّ بعد حفظه القرآن الكريم وسفره إلى الأزهر سوف يتغير الحال، ولكن " كانت هذه الحياة شاقة على الصبي ...، فأما الصبي فقد كان يستقل ما كان يقدَّم إليه من العلم ويتشوق إلى أن يشهد أكثر مما كان يشهد من الدروس"(٤٩).

ومضت الحياة في القاهرة وأقبلت الإجازة، ولم تكن لديه رغبة في الرحيل إلى الريف، كان يريد أن يقضي إجازته في القاهرة كما كان يصنع أخوه الطبيب من قبل، "ولكن تمنُّعه لم يغن عنه شيئاً، وها هو ذا يركب مع صاحبه عربة من عربات النقل ومعهما ثيابهما،... وأخذت لهما تذكرتان ثم دفعنا إليهما، ثم وضعا في عربة مزدحمة من عربات الدرجة الثالثة، ثم تحرك القطار،....وكانت العشاء قد صليت حين نزل الصبيان من القطار، فلم يجدا في المحطة أحدا، فأنكرا ذلك شيئا، ولكنهما وصلا إلى الدار،.... فلما دخل الصبيان وجمت الأسرة لدخولهما ولم تكن قد أنبئت بعودتهما، فلم تعد لهما عشاء خاصاً، ولم تنتظرهما بالعشاء المألوف، ولم تُرسل أحداً لتلقيهما عند نزولهما من القطار، وكذلك أضيع على الصبي ما كان يدبر في نفسه من الأماني، وما كان يقدّر من أنه سيستقبل كما كان يستقبل أخوه الشيخ في ابتهاج وحفاوة واستعداد عظَيم،... وأوت الأسرة كلها إلى مضاجعها، ونام الصبي في مضجعه القديم، وهو يكتم في صدره كثيرا من الغيظ وكثيرا من خيبة الأمل أيضا"(٥٠).

كل ذلك جعل طه يزداد قسوة وانفعالاً، ينظر بقلبه وعينه المظلمة نظرة غيظ وحقد وتذمر وتشاؤم، فأسقط كل ذلك على من حوله من أبيه وأمه وسيده وزملائه في الربع وشيوخه وأساتذته في الأزهر، فكان كثير السخط عليهم والاستهزاء بهم؛ فقد استقر في نفسه أنه ما زال كما كان قبل سفره إلى القاهرة، قليل الخطر، ضئيل الشأن لا يستحق العناية،" فآذى ذلك غروره، وقد كان غروره شديداً، وزاده ذلك إمعاناً في الصمت وعكوفا على نفسه وانصرافاً إليها"[٥١].

٤.دور المرأة في حياته:

كما كان للمرأة دور في حياة طه حسين، فقد كان إهمال أمه مما صنع في نفسه صفات المصابرة والغرور والاعتماد على الذات والعكوف عليها، كما قدَّر طه المرأة منذ صباه، فمن أوائل مواقفه مع المرأة في سن مبكرة (زوجة المفتش) الذي كان يتردد على بيته يعلمه التجويد والقراءات، وقضى الصبي سنة يتردَّد على بيت المفتش، وكان المفتش قد تجاوز الأربعين من عمره، " وقد تزوج من فتاةٍ لم تبلغْ السادسةَ عشرةَ، ولم يكن له ولدٌ،.... وما هي إلا أن كثُر تردُّد الصبي حتى أخذت الفتاة تتحدَّث إليه وتسأله عن نفسه وعن أمه وعن إخوته وعن داره، وأخذ الصبيُّ يجيبها.... واتَّصلت بين هذه الفتاة وهذا الصَبي مودةٌ ساذجة، كانت حلوة في نفس الصبي لذيذةَ الوقع في قلبه،... وكان المفتش يجهلها جهلاً تاماً، وأخذ الصبي يذهب إلى دار المفتش قبل الميعاد ليظفر بساعة أو بعض ساعة يتحدَّثُ فيها إلى هذه الفتاة، وأخذت الفتاة تنتظره، ... وما هي إلا أن استحال الحديث إلى لَعِب كلعب الصبيان لا أكثر ولا أقل، ولكنه كان لعباً لذيذا"[٥٢].

ثم انقطعت المرأة وغابت عن حياته حينما ذهب إلى التعليم في الأزهر الشريف تلك القيود التي فرضتها عليه البيئة الأزهرية والحرمان المفروض عليه، فقد كان يجلس مع زملائه في " الربع أو يجلس مع صاحبه على فراش أمامه يلهوان بالحديث قليلاً وبالقراءة كثيراً،... ولكن حياته الخصبة الممتعة منذ أقبل عليه

صديقه لم تكن في الغرفة ولا في الربع، وإنما كانت في الأزهر نفسه"[٥٣] حيث الدرس والتعلم.

ولم يستمر هذا الفراغ النسوي كثيرا فقد سافر إلى فرنسا وهناك كان حبُّه الحقيقي حيث قابل رفيقة دربه، ومهجة فؤاده" سوزان"، يقول في حقها:" المرأةُ التي أبصرت بعينيها"[٥٤]

وظلت عوناً له وسنداً في حياته العملية والعلمية بصورة شهد لها التاريخ، حيث وصلت ليلها بنهارها تقرأ له "مقدمة ابن خلدون، وتتصفح تاريخ "اليونان والرومان"، فمساندتها لم تتوقف، ودعمها لم ينقطع،، تقول:" وبدأت العمل معه، كان يُعدُّ لنيل إجازة في الأدب الكلاسيكي، وكان ذلك امتحاناً عظيماً لامرئ لم يَدْرسِ من اللاتينية إلا القليل، ولم يدرس ما يكفي من النصوص الفرنسية، كما لم يدرس التاريخ، امرؤ كان عليَّ أن أعلّمه كذلك الجغرافيا.... ثم عكفنا على الرسالة، وكلما فكرت بها عاودتني الدهشة مَن أن امرأً يشكو كفاف البصر وقلة الاستعداد في الثقافة الغربية، استطاع في أقل من أربع سنوات أن يحصّل إجازةً ودبلوما في الدراسات العليا وأن ينجز رسالة دكتوراه"[٥٥]، "وبعد زواجهما وحصوله على الدكتوراه، عادت معه إلى مصر، تاركةً أهلها من أجله، لتظل له السند والعون[٥٦].

ثم أنجبت له أمينةَ، فكانت هي الأخرى العصا التي تسانده وتساعده في الرأي والمشورة مع أمّها، فالمرأة –دائما– ممثلة في زوجته وأحيانا ابنته أمينة محط مشورته ومصباحَه المضيء في مشاركته بعض القرارات، فلقد عرض عليه منصب جديد باسم "المراقب العام للثقافة العامة في وزارة المعارف العمومية"، وكان عنده عزم على قبول المنصب، ولكنهما كانتا تريان في ذلك انشغالا غير معقول عن الكلية والعمادة والتأليف،.

–فتقول له أمينة التي كانت تنصت إلى هذا الحوار مع أمِّها:" وأنت قد عقدت عزمك

على قبول هذا المنصب".

-وترد سوزان وتقول:" أمينة عندها حق، أنت لا تطلب رأيي، بل مصمم على التعب، أنت إنما تخطرني بأنك قد قبلت فعلا هذا العمل.

-يقول طه حسين ليبين قدرها- ولم لا وهي شريكة له في هذه الحياة-:" أبدا، إنك تقولين دائما إنَّ الليل يقبل بالنصيحة، سأنتظر إذن نصيحتك إذا كان الصباح"[٥٧].

وكان خوف زوجته وبنته عليه منقطع النظير، فحينما عزم على السفر إلى الإسكندرية لإنشاء جامعة الإسكندرية بعد موافقة الوزارة في وقت الحرب تقول له سوزان :"إذن أنت مصمم على أن تسافر للإسكندرية والقنابل تسقط عليها....مصمم إذن هيا بنا حقائبنا في السيارة.

-يسأل طه: حقائبنا؟!.

-تقول سوزان: نعم، مسافرة معك.

-ويقول طه: لا، لن تسافري، الغارات..."

-وتقول سوزان: ذكرت أن قيام جامعة الإسكندرية سيصد الغارات عن المدينة.

-يقول طه: ليس بهذا المعنى، أنت تفهمين.... ثم التذكرة؟

-وتقول سوزان: قامت أمينة بحجز تذكرة لي إلى جانبك في نفس القطار.

-ويقول طه: مؤامرة إذن؟

-وترد سوزان: نعم "[٥٨].

فقد عوَّضه الله تعالى بعد حرمان الطفولة بألفَةٍ وحياة سعيدة.

٥. معالم البناء الفني في ترجمته الذاتية:

كان لطه حسين هندسته الخاصة في بناء جمله، واختيار عباراته، التي تحمل خصائص الأسلوب الفني في ترجمته الذاتية.

• لغة السيرة:

وإذا أردنا أن نقف على نص يجمع بين العديد من الألوان والكثير من الصور، فلنقرأ نصه الذي صبغه بأصباغ مختلفة من فنون اللغة والعقل ونظم الكلام، وأثر البيئة، والاتجاه النفسي مع ما تحمله شخصيته من الزهو والغرور والإباء، مستخدماً اللغة الفصحى في جل عباراته؛ مما يدل على اعتزازه بفصاحة لغته التي اكتسبها من بيئته، ولم يستخدم غير الفصيح إلا في القليل النادر للتَّعبير عن ثقافة العصر، وصنع التشويق والإثارة والإقناع، يقول طه الصبي مصوراً سيده :" وكان منظر سيدنا عجيباً في طريقه إلى الكُتَّاب وإلى البيت صباحاً ومساء، كان ضخماً بادناً، وكانت دفّيَّته تزيد في ضخامته، وكان كما قدَّمنا يبسط ذراعيه على كتفي رفيقيه، وكانوا ثلاثتَهم يمشون وإنهم ليضربون الأرض بأقدامهم ضرباً، وكان سيدنا يتخيَّر من تلاميذه لهذه المهمَّة أنجبهم وأحسنَهم صوتاً؛ ذلك أنه كان يحبُّ الغناء، وكان يحبُّ أن يعلّم تلاميذه الغناء، وكان يتخيَّر الطريق لهذا الدرس، فكان يغنّي، ويأخذ رفيقيه بمصاحبته حيناً، والاستماع له حيناً آخر، أو أن يأخذ واحداً منهما بالغناء على أن يصاحبه هو والرفيقِ الآخر، وكان سيدنا لا يُغنّي بصوته ولسانه وحدهما، وإنما يغني برأسه وبدنه أيضاً، فكان رأسه يهبط ويصعد، وكان رأسه يلتفت يميناً وشمالاً، وكان سيدنا يغني بيديه أيضاً، فكان يوقع الأنغام على صدر رفيقه بأصابعه، وكان سيدنا يعجبه " الدَّور " أحياناً، ويرى أن المشي لا يلائمه فيقف حتى يتمَّه، وأبدعُ من هذا كله أن سيدنا كان يرى صوته جميلاً، وما يظنُّ صاحبنا أن اللهَ خلق صوتاً أقبح من صوته، وما قرأ صاحبنا قول الله عز وجل: «إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير»، إلا ذكر سيدنا وهو يوقع أبياتاً من " البردة" في طريقه إلى الجامع منطلقاً لصلاة الظهر أو في طريقه إلى البيت منصرفاً من الكُتاب"(٥٩).

هذا النص – المتكامل– يحمل لغة إبداعية تنطلق من ذاكرةٍ حافظةٍ للقرآن

والشعر والتراث العربي، تلائم بين صحة اللغة والمضمون وبين الصحة النفسية التي يقتضيها الحال؛ ليكشف عن جوهره الطفولي حينئذ وقوة ذاكرته في وقت الكتابة.

بدأ النَّص بلغة خبرية تحمل مشهداً تصويرياً إبداعياً تجمع بين الطرافة والتصوير الواقعي؛ لتجعل القارئ شاخصا بعينيه وأذنيه، إلا أن التنوع الأسلوبي بين الخبرية والإنشائية لا غنى لكاتب الترجمة الذاتية عنه؛ وهو كثير في ترجمة طه حسين؛ ليثير الانفعال ويحرك المشاعر، واللافت للانتباه في ترجمة طه حسين وجود أسلوب التردد– أحياناً– وهذا قد يبدو طبيعيا بسبب آفة العمى التي تجعله يتحسَّس كل شيء ويتلمَّسه بحذر، فظهر ذلك في أسلوبه، يقول في طليعة الجزء الأول من "الأيام":" لا يذكر لهذا اليوم اسماً، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتاً بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريبا، وأكبرُ ظنه أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو في عشائه، ويُرجِّح ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تَذْهب به حرارةُ الشمس، ويرجِّح ذلك لأنه.....ثم يرجح ذلك لأنه يكاد ....." (٦٠).

فهذه اللغة الترددية صنعتها الآفة التي لازمته، فلم يستطع تحديد جوهر اليوم من حيث نهاره أو ليله.

- **صياغة الحدث**:

وقد جاء النسيج الفني للترجمة الذاتية عند طه حسين في عدة عناصر تقتضيها طبيعة الترجمة، أهمها: التسلسل المنطقي للأحدث، ففي كتاب الأيام " تدرج طه حسين تدرجاً ساطعاً"(٦١)، ففي الجزء الأول من "الأيام" تحدث فيه عن طفولته وجزء من مرحلة صباه منذ أن ولد سنة ١٨٨٩م، حتى قدومه للتعليم في جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٠٢م، ثم تتابعت الأحداث في الجزء الثاني ليكمل جزءاً آخر

من مرحلة شبابه من سنة ١٩٠٢م حتى عام ١٩٠٨م، في صورة استطراد وإسهاب لحياته مع زملائه وأساتذته وشيوخه في الأزهر الشريف، وفي الجزء الثالث من الأيام تناول فترة من حياته من عام ١٩٠٩م وهو العام الذي حصل فيه على الدكتوراه في "ابن خلدون"، ثم عودته إلى القاهرة ليعمل بالجامعة المصرية، ثم كان كتاب "أديب" تناول فيه طه حسين حياته من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٤م ليذكر بعض ما فاته من "الأيام"، ثم أكمل ترجمته الذاتية لجزء من حياته الدكتور محمد حسن الزيات – زوج ابنته أمينة– في كتاب سمَّاه " ما بعد الأيام"، تناول فيه جزءا كبيرا من حياته الأسرية والجامعية والسياسية.

كما اعتمد في نصوصه على الاقتباس من القرآن الكريم؛ ليلائم بين الغرض الذي أراد التعبير عنه والواقعة التي حدث فيها، لمطابقة الآية لمقتضى الحال. وله اقتباسات كثيرة أخرى، فله مع جماعة من كبار الشيوخ يحبون النميمة وقفةٌ، ذكر فيها قول الله عز وجل : ﴿ولَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوه (٦٢)"﴾.

كما اعتمد على الاقتباس من معاني القرآن الكريم في مواضع كثيرة من ترجمته الذاتية، منها ما دار بينه وبين شيخه في إحدى حلقات الدرس بالأزهر من نقاش وجدال حول " علامة الفعل قد"، وبعد اعتراضات وأجوبة كثيرة بينه وبين الشيخ، " فجأة سكت الشيخ أثناء هذا الحوار، ثم قال في صوت حلو لم ينسه صاحبنا قط،...:" الله حكم بيني وبينك يوم القيامة"(٦٣).

ولم يكتف طه حسين في ترجمته الذاتية بالاقتباس من القرآن الكريم فحسب بل ظهر في ترجمته ما يدل على حفظه لأبيات من "البردة"، وله أبيات أخرى من الشعر القديم، استوعب معانيها، وعرف مراميها، وله قصةَ طويلة مع أحد شيوخ الأزهر الذي شرح بيت تأبط شرًّا(٦٤):

فَأُبتَ إلى فَهمٍ وما كدتَ آيباً وكم مثلها فارقتها وهِي تَصْفِرُ

فلما وصل الشيخ إلى قوله:" تَصْفِرُ"، قال الشيخ: إن العرب كانت إذا اشتدت على أحدهم أزمة أو محنة وضعوا أصابعَهم في أفواههم ونفخوا فيها، فكان لها صفير يسمع. قال الغلام للشيخ: وإذن فما مرجع الضمير في قوله" وهي تصفر؟"، وفي قوله " وكم مثلها فارقتها؟"، قال الشيخ مرجعه إلى " فهم" أيها الغبي، قال الغلام: فإنه قد عاد إلى فهم والبيت لا يستقيم على هذا التفسير، قال الشيخ: فإنك وقح وقد كان يكفي أن تكون غبياً، قال الغلام: ولكن هذا لا يدل على مرجع الضمير، فسكت الشيخ لحظة ثم قال:" انصرفوا، فلن أستطيع أن أقرأ وفيكم هذا الوقح"[٦٥]. ولا يخفى ما لدى الصبي طه من قدرة بارعة على "السخرية اللاذعة في ثوب جاد حتى تظهر وكأنها غير مقصودة"[٦٦].

كما لا يخفى ما في النص من تكرار، وطباق، وتماسك، وتجسد للأسلوب المنطقي الذي يعتمد على الأسباب والنتائج، كما لا يخلو الأسلوب من السخرية والاستهزاء والفكاهة، والتذمر المنبعث من الكلمات ومن نبرة الصوت؛ من أجل الإثارة والمتعة؛ وليخفف من وطأة غضبه وحدة تعصبه من سيده.

وأسلوب د. طه حسين في الأيام "موسيقي مرنم، تصويري، كثير التكرار، باعث على الاسترخاء"[٦٧]، أسلوبه في ترجمته الذاتية يتراوح بين الإطناب والإسهاب والإطالة في القصص والمشاهد الدرامية الواقعية كما شاهدنا في قصة موت أخيه الطبيب[٦٨] أو موت أخته في كتابه" الأيام"، ووصف صديقه في كتاب "أديب"[٦٩]، وبين الإيجاز والقصر في سرد الحكي غير القصصي.

- **البعد الخارجي للشخصية**:

ولو عدنا إلى النص السابق الذي معنا، وهو قوله عن سيده:" وكان منظر سيدنا عجيباً في طريقه إلى الكُتَّاب وإلى البيت صباحاً ومساء، كان ضخماً بادناً....

إلخ" الذي يرسم مشهدا بريشة فنان ويصور القصة ببراعة قاصٍ، تشعر كأنك تشاهد سيده ورفيقيه رؤيا العين، هذا التصوير الجسماني لسيده الضخم في الوسط وبين ذراعيه طفلان يدور بهما ويتغنى، والحيز الذي يشغله سيده بجلبابه الكبير ودورانه وتمايل رقبته والأقدام التي ترجُّ الأرض رجاً، وهذا الصوت المزعج المنبعث من سيده،...الخ. وكيف استطاع هذا العبقري البارع أن يصور لنا ذلك المشهد مع آفة العين المسيطرة عليه؟ إنما يدل هذا التصوير المشهدي على عاطفة جياشة وجانب نفسي يدرك دواخل الإنسان، هذا الإدراك العاطفي قد يكون طاغياً عند شخص يفوق حاسة الجانب البصري، كما نلحظ هذا الطغيان العاطفي حين تصويره مشاهد موت أخيه وموت أخته وما حلَّ بالبيت من حزن، وما سكنه من دموع، وما كساه من بكاء، تصويرا إبداعيا من نفسٍ جياشة وإحساس مرهف في صورة قد لا يساويه فيها أحد إلا بتوفيق من الله.

يرسم صورة كلية تتجمع أجزاؤها في شكل رسم خرائطي من بدايتها حتى نهايتها، مستخدماً الأصوات والحركات والأشكال والتشبيهات وغيرها من عناصر الصورة التي تبعث فينا المزاح والعاطفة معاً، ولكن قد نحس في النص الأثر النفسي الذي عاناه طه حسين من الآفة التي لازمته فجعلت الاختيار لا يقع عليه من قبل سيده، فيختار رفيقين ليس هو أحدهما، مما أشعل في نفسه سطوة الغضب والحقد، فصاغ ذلك كله من خياله المبدع بعدما تشبَّعت عاطفته بالخيال المصبوغ بألوان الحزن، فجعله يصبُّ غضبه صباً على سيده ومن حوله.

- **شخصية الراوي السارد**:

إذا أردنا أن نتحدث عن الشخصية في كتاب" الأيام"، فلابد أن ندرك أنّهاَ تدور حول الذّات الخالصة، خلافاً لما عليه العمل القصصي والروائي، فالسيرة الذاتية التي تحكي حياة المؤلف "تفترض أن يكون هناك تطابق بين المؤلف –كما يدرج عن طريق اسمه في الغلاف– وسارد الحكي، والشخصية التي يتم الحديث عنها، وهذا

معيار جد بسيط يحدد في نفس الوقت السيرة الذاتية "(٧٠)

وتبدو شخصية الراوي العليم هي الأشد لصوقاً ببنيه الخطاب الشخصي ولا سيما في كتاب " الأيام"، حين يستخدم السرد اعتماداً على ما تمنحه إياه من إمكانات ذاتية، سواء أكانت هذه الشخصية هي مركز النص، أو أنها تحكي خارج دائرة الحكاية عن شخصيات أخرى كالمُفتّش أو سيده أو شيخه أو غيرهم.

إنَّ التعبير بالسارد عن صوت الشخصية داخل الأدب الشخصي ينبع من خصوصية النَّص، التي تفرضُ طَابعاً خَاصاً على المسافة القائمة بين السارد وصوت الشخصية، "فالسارِدُ فِي النص ... يختبئ في شكل " ذات "، وهذه الذات إمَّا أن تُمثّل المؤلّف، وإمَّا أن تُمثّل وجهاً آخر له، من خلال ما يُوجِدُه السَّاردُ في النَّص، وبالتالي فإن النص ... لا ينتَج عنه بالضرورة سارد مميَّز الملامح والشكل، محدد الوظيفة أو الصورة، ولكنه سارد يعبر عن ذات تقوم بإنتاج فعل ما من خلال النص وإن وجدت ذوات أخرى، فإنها من صنعه ومن تشكيله؛ لذا فإنَّ المدى الذي يتحقق للسارد في النص .. لا يمكن الحدُّ منه أو الوقوف على نهايته ، وإنما هو يسيطر بحريةٍ تامَّةٍ على النصِ، وهو ما يُشبهُ في النصِ القَصصي ما يُسمَّى بالرَّاوي العليم "(٧١)، ليسبغ هذا السارد على النص بكامله صورته الذاتيَة التي تقوم على عرض رؤيته، وتاريخه الخاص، وهو ما نلمحه في " الأيام".

اعتمد طه حسين على الضمير الغائب، وهو ضمير صالح للتراجم الذاتية وإن كان ضمير المتكلم هو سيد الضمائر – أو الضمير الكلاسيكي – عند كُتَّاب السير الذاتية، إلا أن فيليب لوجون لا يرى مانعاً أيضاً من السرد بضمير المخاطب، فمن الممكن – على حد قوله– الكتابة بطريقة أخرى غير ضمير المتكلم، فما الذي سيمنعني من كتابة حياتي معلناً نفسي ضمير مخاطب؟(٧٢).

فقد كتب طه حسين سيرته بضمير الغائب في "الأيام"، وكتب العقاد بضمير المتكلم في" أنا"، وأحمد أمين في " حياتي "، وشوقي ضيف في " معي "... وغيرهم كثير، أما ضمير المخاطب – الذي ذكره لوجون– فلم أقف على كاتب كتب به في الأدب العربي، ولكن توجد سيرة " لفيدريكو سانشيز "، وهو نص متفرد باستخدامه ضمير المخاطب " أنت"، الذي يوجه به خورخي سمبرون حديثه إلى ذاته الأخرى ممثلة في القائد السابق للحزب الشيوعي الأسباني السري، والتي اتخذت اسماً مستعاراً هو فيدريكو سانشيز"(٧٣).

فمن الرواة من" يظهر بوصفه شخصياً داخل عالم الأحداث القصصيّة، ويروي بضمير المتكلم، وراوٍ يقف وراء ضمير الغائب، راوٍ عليم بكل شيء عارف، وراوٍ مجرد مشاهد"(٧٤).

والمعنى الغائب جاء في ترجمة طه حسين الذاتية في صور كثيرة، صورته كضمير، وصورته كاسم ظاهر بدأه طه حسين في الأيام بالصبي ثم الفتي وأحيانا أخرى صاحبنا، متأثرا بالأدب الغربي الذي يستخدم مثل هذه الكلمات في التخاطب ككلمة "صاح" مثلا، متفرداً بذلك في سيرته التي تمتلئ بالأحداث المؤلمة التي عاناها هذا الصبي، ومتفردا كأديب عاش بين الناس يشعر بالتميز الذي أتاحه له زاده الروحي والنفسي.

وسرده بضمير الغائب يخدم غرضه ويحقق له شيئاً من التجرد في الحكم" (٧٥)؛ لأنه يتيح لكاتب السيرة أن يخفي شخصيته دون الإفصاح عن نفسه بضمير المتكلم، ولكنه أتاح له حريَّة الحديث والإعجاب بالنفس والزهو والشموخ بخلاف ضمير المتكلم الذي يجعل التصريح مذموماً ويجعل الكاتب " مظنة العجب والدعوى والتَّمجد بالنفس وغير ذلك من الصفات "(٧٦).

ثم تحدث في كتاب " أديب" بضمير المتكلم، ليتحوَّل من صيغة الغائب إلى صيغة الحضور، فتبدو فيه شخصيته صريحة قوية ظاهرة دون خفاء للقارئ، يقول

عن صاحبه الذي لا يريد أن يصرح باسمه:" فقد عرفتُه في القاهرة قبل أن يذهب إلى باريس، ثم أدركته في باريس بعد أن سبقني إليها، كنا في الجامعة المصرية القديمة في الأسبوع الأول لافتتاحها، وكنت أختلف إلى ما كان يلقي فيها من محاضرات"(٧٧).

- **الصراع الخارجي والنفسي**:

ويكشف لنا طه حسين عن صراعه مع البيئة الذي ظهر في صورة ثورية حقيقية "كان يعمد عمدا إلى تصوير ذلك الصراع، ولا يدعه ليستنتج من طبيعة السيرة نفسها؛ فهو يصف مراحله ويتدرج بها، معتمداً على أن حياته خير مثل للانتصار على البيئة "والوصول" في النهاية"(٧٨).

وبدت عليه لما عاد من التعليم بالقاهرة معالم الجدل وصفات التصدي والمحاورة اكتسبها من تعليمه هناك، فمن أقوى صور الصراع التي جاءت في " الأيام" موقفُه من قراءة أبيه " دلائل الخيرات" وسخريته من أبيه لما سمعه يقرأ، إذ قال لإخوته بعدما رفع كتفيه وهزَّ رأسه ثم ضحك :" إنَّ قراءةَ الدلائل عبث لا غناء فيه"، فزجرته أختُه الكبيرة، فسمعها الشيخ ولم يقطع القراءة، فلما أتمَّها، أعاد الصبي قوله، فغضب أبوه غضبا شديداً(٧٩).

ومن صور الصراع التي نشعر فيها بالتحرر من قبضة البيئة وعدم الانزواء والانطواء الذي كان يصحبه قبل سفره مع نمو سوء الظن في نفسه، " وارتيابه فيما يدعيه الناس من حق وصدق وتدين، لأنه ركز اهتمامه في نقل صورة مريرة من النفاق والكذب، وخاصة في البيئة الدينية"(٨٠)، ومن ثمرة ذلك قوله لسيدنا عندما سمعه يتحدث مع أمه عن فضل العلم والدين وتمجيد حفظة القرآن، ولم يتحرج منه:" هذا كلام فارغ، فغضب سيدنا وشتمه، وزعم أنه لم يتعلم في القاهرة إلا سوء الخلق، وأنه أضاع في القاهرة تربيته الصالحة"(٨١).

هذا الصراع الذي عاشه ليصور لنا نظرته الساخطة الساخرة الصاخبة المتعالية على البيئة القروية المظلمة التي تفتقر إلى الوعي وتفتقد العلم، ويسودها الجهل والكذب والدجل آنذاك، وثورته على كل من فيها، معلنا تمرده وخروجه وضجره.

ولما انتقل من البيئة القروية إلى بيئة القاهرة لم تسلم هي الأخرى من صراعه وتمرده، وإن كان صراعاً إيجابياً إلا أنه يفقد درجة من درجات الصدق والصراحة والتجرد، فهو دائم التحيز لنفسه المتمثلة في شخصية الصبي تعاطفاً وغروراً وصل إلى حدّ التكبر والشموخ، ومن هذه الصور موقفُه مع الشيخ في كتاب" سلم العلوم" في المنَطق، حيث جادل الشيخ في بعض ما كان يقول، " فلما طال الجدال غضب الشيخ، وقال للفتى في حدَّةٍ ساخرة:" اسكت يا أعمى ما أنت وذاك"، فغضب الفتى وأجاب الشيخ في حدة:" إن طول اللسان لم يثبت قط حقًا ولم يمح باطلاً"(٨٢).

هذه بعض الصور التي تعكس صراعه وثورته على البيئة القروية والقاهرية في القضايا الدينية والأخلاقية والعلمية، مما جعل نفسه تقترب " من حومة العقل"(٨٣).

ومما يقلل من صراحته عدم ذكره الكثير من الأسماء والأشخاص الذين تعامل معهم، فالتجاهل والإنكار هو الطابع الغالب في ترجمته الذاتية، فلم يفصح مثلا عن اسم " المفتش" أو " زوجته" أو " العريف" أو زملائه في "الربع"، كما لم يذكر كثيرا من الأماكن والتواريخ، كل ذلك " أضعف القيمة المكانية وشيئا من القيمة التاريخية في قصة حياته، وأبدى أنه لا يستطيع الجهر بأسماء كثيرة؛ لأن نفسه منذ الصغر طبعت على الاستحياء والتواري"(٨٤)، وإن كنت أرى أن السبب الحقيق في عدم الذّكرِ يرجع إلى طبيعة المواقف التي تركها أو أخفاها، هل هي لصالحه وتخدم قصده أو لا؟ وليس السبب الاستحياء أو الانطوائية مطلقاً؛ لأن جرأة طه حسين على أساتذته وجداله مع زملائه وشيوخه وأبيه يؤكد غير ذلك.

فمما لا شك فيه أن طه حسين وظّف لغته وألفاظه في بناء عباراته في صورة متلاحمة صنعت بنياناً مرصوصاً ليعبر به عن سيرته وما شملته من أفكار وعواطف وتحليق خيالي في عالم الفصاحة والبيان.

ومهما يكن من هنات أو زلات فإن الترجمة الذاتية لحياة الأديب الكبير الراحل طه حسين ولا سيما في كتاب الأيام ذات " مكانة لا تتطاول إليها أي سيرة ذاتية أخرى في أدبنا العربي،... تلك الطريقة البارعة في القص، والأسلوب الجميل، والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحياناً حتى تطغى على السطح، وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص"(٨٥).

• د. مُحمَّد حسين هِيكل:

وقد سلك د. هيكل مسلك د. طه حسين في كتابته لترجمته الذاتية، حيث خرجت في صورة مقالات كتبها في العديد من الصحف والمجلات، له مقالتان في صحيفة (السفور) سنة ١٩١٥م، تحدث فيهما عن طفولته وصباه، وأحوال المدرسة الابتدائية، الأولى بعنوان (في الكُتَّاب)، والأخرى بعنوان (زيارة المُفَتِّش)، ثم جمعهما مع مقالات أخرى عديدة في كتابه (في أوقات الفراغ)، ثم جاء كتَابه "مذكرات في السياسة" في جزأين.

ثم ظهرت قصته المشهورة " زينب" التي صدرت عام ١٩١٤م، وهي باكورة القصة الرومانسية في الأدب الحديث، كتبها في فرنسا في وقت دراسته للقانون، تحدث فيها عن شبابه في قالب روائي رائع، يتوارى فيها خلف شخصية البطل "حامد" وحيرته بين الطبقات الاجتماعية وثورته عليها(٨٦).

١. تصوير الذات:

وإذا ما انتقلنا إلى طفولة هيكل اتضحت ملامحها وسماتها التي تختلف كل الاختلاف عن طفولة طه حسين ونشأته وبيئته وكذلك حالته الاجتماعية والتعليمية والتربوية.

في العشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٨٨م ولِد محمد حسين هيكل بقرية "كفر غنام" بمركز السنبلاوين التابعة لمحافظة الدقهلية، وبين أحضان هذه القرية ذات الزرع النضير، حيث طبيعة مصر السهلة وأرضها دائمة الخضرة، كانت تعيش أسرة هيكل(٨٧).

عاش د.هيكل في أسرة ثرية صاحبة ضياع كثيرة، مع ما يحمله أبوه من طيبة وعطف على هذه العائلة الطويلة العريضة، حيث كان أبوه " باعتباره أكبر إخوته الذكور، كان قد جمع من كدّه وبمعاونة والده ثروة غير قليلة، وأصبح هو وارث اسم العائلة، وطبعاً الوصيَّ علىَ إخوته القصر، وقد كان من أطيب الناس قلباً، وأصفاهم سريرة، وأحبهم لإخوته، وأحناهم على الصغار منهم"(٨٨).

وإذا كان والد طه حسين أنجب من أكثر من زوجة، حيث كان طه حسين من أبناء الزوجة الثانية- كما سبق- إلا أن السيد/ حسين سالم أفندي لم يتزوج إلا زوجة واحدة، أنجب منها عددا متساوياً بين البنين والبنات، يصوِر ذلك في قصة زينب فيقول:"أما أبناء السيد نفسه- يعني السيد/ حسين- فهم أبناء زوجة واحدة، ويبلغون الثمانية عدداً: أربعة بنين وأربع بنات"(٨٩).

وكان محمد أكبر إخوته، وأقربهم إلى قلب أبيه، وشغله الشاغل، يغدق عليه ويلاطفه، " فحين بلغ حامد (محمد) الخامسة من عمره كان طفلاً كثير الدلال، كثير البكاء، موضع الإعزاز من جميع من في الدار، وبالرغم من هذه السن كنت كثيراً ما تراه محمولاً على أكتاف النساء أو على أعناق الرجال "(٩٠)، بخلاف طه حسين الذي كان مهملا من جانب أبيه وأمه كان يقضي بالساعات منطوياً في أحد أركان الحجرة دون السؤال عنه أو الاهتمام بأمره(٩١).

أما من جهة التعليم، فقد " عنى السيد بهم جميعاً وأرسل للتعليم من أبنائه كل من تحتمل سنُّه ذلك"(٩٢).

وينتقل د.هيكل من الكُتَّاب إلى المدرسة، فقد" ذهب به أبوه للكُتَّاب ثم

المدرسة"[٩٣]، ولم يلتحق هيكل بمدارس الريف الابتدائية كما التحق طه حسين وإنما لمكانة أبيه وثراء عائلته، تحوَّل مباشرة من " هذا الكتَّاب في السابعة من عمره إلى القاهرة، فالتحق بمدرسة الجمالية الابتدائية، ثم مدرسة الخديوية الثانوية، ولمَّا أتم هذه المرحلة انتظم في مدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٠٩م"[٩٤].

وإن كانت الجامعة المصرية هي التي أوفدت طه حسين إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه، فإن والد محمد أرسله إلى فرنسا لينال الدكتوراه[٩٥]، واختار محمد عنوانا لرسالته وهو "دين مصر العام"، وعرضه على أستاذه في الاقتصاد "لارنود" فوافق عليه[٩٦] ، ويخبرنا محمد عن سنة الحصول على الدكتوراه:" وفي شهر أغسطس لسنة ١٩١٢م، وكنت عائداً بحراً على باخرة إنجليزية من فرنسا إلى مصر، بعد أن أتممت دراستي وحصلت على إجازة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس"[٩٧].

٢.البُعد النَّفسي في الترجمة الذاتية:

كان محمد الابن الأكبر لحسين سالم هيكل صاحب الثراء والأطيان، فكانت ظروف الحياة خَافضَة لَيِّنة لا كدَّ فيها ولا شقاء، مما هيَّأ له ظروفاً حياتية سعيدة " وأتيحت له فرص التعليم بأقصى ما تتاح لشباب ذلك الزمان"[٩٨].

١. ومما يدل على نجابته وذكائه، أن " مرت السنون وهو دائماً موضع الحب من أهله الذين سرُّوا بنجابته ونجاحه"[٩٩].

٢. ولكونه مدلَّلاً في حياته كان كثير الجلبة والصخب والعناد، يقول عن نفسه في "تذكارات الطفولة (١) في الكُتَّاب":" ما أنس لا أنس يوم العلقة المليحة، أذكرها اليوم وقد مضت عليها سنون فتعروني هزة الخوف، كنا إذ ذاك يوم السوق، وكان من عادتي أن أحضر لسيدنا نصف بريزة من أبي كل سوق، فلما أصبحنا ذلك اليوم وأردت مقابلة والدي علمت أنه نائم، فألححت وبكيت وصحت حتى استيقظ من شدة

ما أحدثت من الجلبة، فخرج يسأل عن الأمر؛ فلما علمه غضب مني وأمسك بأذني وضربني كفًا، وطردني ولم يعطني حتى ولا قرش السوق"(١٠٠).

٣.ولم يكن متقناً لحفظ القرآن الكريم، يقول عن سيدنا " وأنذرني إن لم أحفظ لوحي قبل الإفطار أوراني شغلي، وفعلاً لم أحفظ لضيق الوقت ..... ومضى زمن ونحن جلوس نحفظ الماضي"(١٠١).

ويبدو أن حسين أفندي لم يهتم بتحفيظ ولده محمد القرآن كاملاً، كما اهتمَّ به الشيخ حسين أبو الطفل طه، فقد ألقى الدكتور شوقي ضيف ظلالاً على هذه المرحلة من حياة الطفل في قرية كفر غنام، فقال :" ولما بلغ الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكُتَّاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ثلث القرآن الكريم"(١٠٢). ولكن لا أدري من أين جاء الدكتور شوقي ضيف بالقطع بهذا الكمِ " ثلث القران"، فلم أطالعها ولم أجدها فيما قرأت من ترجمة للدكتور هيكل، وربما فهمها ضمناً من الترجمة، أو سأل أحداً أفاده بذلك.

واتفق الدكتور طه والدكتور هيكل على تسمية محفظ القرآن الكريم في الكُتَّاب بـ" سيدنا" لا "شيخنا"، وهو تصوير طيب لمكانة مُحفّظ القرآن في قومه وعشيرته.

٤. طيب القلب محبوباً من أهل بلدته وأقرانه، يقولَ عن حامد (محمد) يوم العيد:" قابل الناس ممن جاءوا يهنئونه،... ثم قام مع جماعة من أصحابه يطوف البلد الصغير من أدناه إلى أقصاه يشارك أهله في عيدهم، وكلما مرَّ بقوم حيَّاهم وصافحهم.... أو نزل عندهم شرب قهوة ثم تركهم إلى غيرهم"(١٠٣). فمحمد هيكل كانت تحفُّه الطبيعة ببيئة تملأها السعادة، وبعشيرة تقدّره وتحيطه بكل عناية واهتمام، تفرح بقدومه وتسعد بسلامته، يقول هيكل عن البشاشَة التي شاهدها في أهل قريته بينا قدومه من الحج:" فلما بلغنا الدار ألفيتَ أهلي وأبنائي وقوفًا في انتظاري وكلهم في لباس العيد، وألفيتُ لدى الباب عجْلاً ينحره القصَّاب ساعة دخولنا.... "(١٠٤). بخلاف طه حسين التي وجمت الأسرةُ واستاءت لدخوله ولم تكن قد أنبئت بعودته من

القاهرة(١٠٥).

٥. وكان عزيز النفس لا تشغله الرُّتب والنياشين يقول:" فما كانت الرتب ولا النياشين في يوم من الأيام مثار اهتمامي"(١٠٦).

٦. وكان كثير الخجل والاحتشام، مهذباً، فقد ركبت معه فتاة فرنسية من محطة قطار "ليون بفرنسا" حتى محطة "باريس" في غرفة واحدة، قصَّ قصتها التي أدهشته، فيقول:" ولكني لم أبق طويلا حتى دخلت إلى الغرفة فتاة وضعت شنطتها على الرف وجلست إزائي، فجعلت أدير نظري ساعة جهة النافذة وأخرى ألقى به الأرض، وثالثة أغمض عيني خيفة أن تقع عليها، واستولاني خجل لا أفهمه..... فلم أتمالك نفسي حين سمعتها تتكلم أن ظهرت علي الدهشة والاستغراب: فتاة لا أعرفها تكون وحيدة معي ثم تكلمني بسكون ومن غير خجل كما يكلمني أي رجل آخر وتطلب أن تحجب النور ليمسي المكان الذي نحن فيه مظلماً، ثم ماذا يكون بعد ذلك؟....تولاني خجل لم أقدر معه أن أجيبها بحلو ولا بمر، بل قمت ساكناً فأرخيت ستاري المصباح وجلست منزوياً في الركن حيث كنت"(١٠٧). ولكنه سرعان ما تعود على الجلوس إلى أفراد الجنس الطيف ومغازلتهن في بعض الأحيان، وتعرض لذكر البغايا، وتكرر الحديث عنهن في رحلتيه إلى باريس ولندن(١٠٨).

٧.وكان صاحب كلمة ورأي، له جريدة سياسية تصدر صباح الجمعة من كل أسبوع، يقول هيكل:" وكنت أصدر جريدة (السياسة الأسبوعية) أعارض فيها سياسة الحكومة"(١٠٩).

وله مشاركات وزارية بعد إقالة وزارة النحاس باشا، يقول:" وصدر المرسوم بتأليف الوزارة وقدعين فيه وزراء أربعة بلا وزارة هم: عبد العزيز فهمي باشا، ولطفي السيد باشا، وحافظ رمضان باشا، وأنا، وعين إسماعيل صدقي باشا وزير دولة كذلك وأسندت إليه وزارة المالية، وأقسم الوزراء اليمين بين يدي الملك بعد الظهر من ذلك اليوم: يوم الخميس ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٧م"(١١٠).

٨.وكان دائما لديه القدرة على اجتياز ما يوكل إليه من أعمال، يقول عن مسيرة حياته المهنية بعد أن تولى وزارة الدولة :" هذه هي المرة الثالثة التي يتغير فيها اتجاه حياتي تغيرا جوهريًّا منذ بدأت حياتي العملية، اشتغلت بالمحاماة من شهر ديسمبر سنة ١٩١٢م، واشتغلت بالصحافة من شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢م، وكنت أكتب في الصحف وأؤلف الكتب منذ كنت طالباً بالحقوق، وها أنا ذا أبدأ حياة جديدة هي حياة الوزير، وأبدؤها وزير دولة في وزارة الداخلية، على أنني لم أتهيب هذه الحياة الجديدة ما تهيبت المحاماة، ثم ما تهيبت الصحافة، ويرجع ذلك إلى سببين، أولهما: ما مرَّ بي إلى هذه السن من تجارب الحياة مما جعلني أنظر إلى كل ما يواجهني في الحياة مطمئنًّا، مقتنعاً بالقدرة على اجتيازه في سلام وطمأنينة، ما توافرت لي سلامة الجسم وراحة البال. والثاني: أنني لم أكن أضطلع بعبء الوزارة منفردا بتبعاتها انفرادي بتبعات المحاماة أو بتبعات رياسة التحرير"[١١١].

٩.وكان دائما يشكو من لواعج الحنين إلى مصر، فكم بينه وبين بلاده البعيدة، وكم بينه وبين أهله، كان يتعزَّى بالمصريين في الغربة عن الألم والوجد، وكان يحدو به الشوق إلى سماع الأسطوانات الغنائية المصرية فيذهب إلى أحد زملائه في الدكاكين الباريسية تلطيفاً للواعج هذا الحنين[١١٢].

كما عُيِّن د. هيكل وزيرا للمعارف في ٢٧ إبريل سنة ١٩٣٨م في وزارة محمد محمود باشا[١١٣]، وتولى د. طه حسين الوزارة نفسها أيضاً سنة ١٩٥٠ واستمر د. طه في هذا المنصب حتى أقيلت الوزارة الوفدية في ٢٦ يناير ١٩٥٢م إثر إحراق القاهرة[١١٤].

ولقد تولى كل منهما مناصب عديدة، ولهما كتب ومقالات في السياسة والأدب، فلقد كانا في طليعة التحرير في فترة عصيبة مرت بها مصر، تتطلب مثل هؤلاء الرجال الذين كان لهم رأي وكلمة ومشاركة مسموعة.

٣.أثر البيئة في ثقافته وارتقائه:

أما حديثنا عن البيئة الاجتماعية والطبيعة التي عاش فيها هيكل، فهي على النقيض من بيئة صاحبه طه حسين؛ لأنها بيئة مغمورة بالعطف والحنان والثراء والنعيم والرفاهية بلا حد أو قيد.

فقد تمتع هيكل بقدر من الدَّلال والإعزاز بين أفراد عائلته لم يتمتع به صاحبه، ونال من الحرية والانطلاق ما لم يحظ به طه حسين أيضاً في بداية حياته، يقول هيكل عن الحرية التي منحها لهم أبوه:" أما من جهة التربية فقد كان أقرب إلى تركهم لنفوسهم، ولم يكن هو نفسه يدري سبب ذلك، ولا يمكننا أن نعلل هذا الترك من جانبه بسبب مفهوم، الرجل رجل طيب كغيره، وكان من المعقول جدا أن يضع أبناءه تحت مراقبه ضيقة كما هي عادة أمثاله، أو على الأقل أن يجعلهم في حضوره مثال الصمت والسكون كمقتضيات الأدب المصري، صحيح أنه ظاهر الجدّ إلى أقصى الحدود ساعة حضورهم، ولكنه لم يكن من الرهبوت بالمبلغ الذي عليه أمثاله، ولهذا السبب من جهة؛ ولأنه من الأعيان الأغنياء المصريين من جهة أخرى، لم نقدر على القول بأنه ترك الحرية لأولاده نتيجة نظرية في التربية رآها، أو أنه من أنصار "سبنسر(١١٥)"، في وجوب جعل الطفل معلم نفسه بقدر الممكن، فلا يتعرض له فيما يعمل إلا عند تحقق الخطر الجسيم منه "(١١٦).

• البيئة السياسية:

أما البيئة السياسية فلقد تشابه فيها كل من طه حسين وهيكل، فلقد كان لهما أثر واضح في الحياة السياسية في تلك الحقبة الزمنية، ولا ننسى إن نسينا دور ثالثهما العقاد، فقد عاش الثلاثة مرابطين صامدين ضد ظلم الحكومات وأطماع الوزارات كوزارة صدقي باشا ووزارة النحاس باشا، فموقف أحدهم لا يختلف عن موقف الآخر في هذا المجال الواسع.

والتقى د. طه حسين ود. محمد هيكل على مائدة العمل الصحفي والسياسي كثيرا، فقد كان طه " يكتب في جريدة " السياسة"،- التي كان يرأسها هيكل-وتولى حيناً رئاسة تحريرها في أثناء غياب الدكتور هيكل"(١١٧).

وعملا سوياً في جريدة " كوكب الشرق" التي كان يصدرها حافظ عوض،" ثم اختلف طه حسين مع حافظ عوض بسبب امتناع الأخير عن دفع الغرامة عن أحد الكُتَّاب بعد أن حكم عليه وعلى طه حسين وهيكل بغرامة"(١١٨).

واختلف طه حسين مع هيكل حول ماهية الحرب والحضارة، في مقال كتبه طه في جريدة " السفور" وردَّ عليه هيكل واشتد بينهما الخلاف، فطه يرى الحرب تدفع الإنسان إلى الأمام، وهيكل يرى الحرب دمارا وخرابا وأن حماقة الإنسان هي التي تدفعه للحرب(١١٩).

وتعددت ألوان مقالاتهما في الجرائد التي كانت تعبر عن رأي الأحرار كجريدة "الفلاح المصري، وجريدة السياسة، وجريدة الجريدة"، وغيرها من الجرائد التي كانت تعطلها الوزارات ثم لم تلبث أن تصدر جريدة أخرى مناضلة.

ومرحلة حياة طه وهيكل السياسية والحزبية والصحافية والبرلمانية والوزارية كبيرة، ولها كتب تحدثت عنها بالتفصيل(١٢٠)، فلا يتناولها هذا ابحث؛ لأنها متشعبة وواسعة ويضيق البحث فيما يتصل بها.

٤.دور المرأة في حياته:

للمرأة دور في حياة معظم الأدباء منذ فجر الإنسانية، فإذا كان أبوه حسين سالم هيكل يعنفه ذات مرَّةٍ لما صنعه من جلبة وصياح، فأمُّه تصنع المطايبة والترضية، يقول هيكل:" فذهبتَ إلى الكُتَّاب بعد إذ كفكفت أمي دمعي وأعطتني قطعة من السكر لتسكتني"(١٢١). بخلاف أم طه حسين التي انهالت عليه شتماً وتأنيباً، ثم جذبته من إحدى يديه حتى انتهت به إلى زاوية من زوايا المطبخ فألقته فيها إلقاء،

وانصرفت إلى عملها(١٢٢).

ثم نتلمس امرأة أخرى لها أثر في حياته، وهي شقيقته "إحسان" التي أهدى إليها قصة زينب"، يقول:" وأنت يا أخت: أول من أحببت من شباب مصر.. أهديها لك بعد أن أهديتها لمصر، .. ولمصر نفسي ووجودي... ولأختي قلبي وروحي"(١٢٣).

ثم تظهر باكورة الحب الرومانسي لديه في قصة "زينب" التي كتبها في "باريس"، يصور فيها حبَّ الوطن، وما تملكه الطبيعة الإنسانية من خجل وعفة وخطوات للصبا تألفت في مطلع القصة يقول هيكل:" زينب ثمرة حنين للوطن وما فيه،... وهي ثمرة الصبا بما للصبا وللشباب من قوة وضعف، وتوثب واندفاع، وشعور سام لا يحدُّه مدى، ومخاوف وآمال لا تزال تخالطها آثار السنين الناعمة الأولى"(١٢٤).

وعن حرارة الوجد والشوق نجده يرسم صورةً عن زينب بريشة الفنان وبإحساس الأديب الهائم فيقول في مشهد حركيٍ تدور حوله عدسة الكاميرا :" ها هي ذي زينب في تلك السن ترنو إليها الطبيعة وما عليها بعين العاشق، فتغض طرفها حياء، وترفع جفونها قليلاً قليلاً لترى مبلغ دلّها على ذلك الهائم، ثم تخفضها من جديد، وقد أخذت مما حولها ما ملأ قلبها سَروراً، وأضاف إلى جمالها جمالاً ورقةً، فزاد الوجود غراماً بها وزادها به تعلقاً ووجداً"(١٢٥).

ومما يدل على تعطشه للحب الذي لم يكن يسعى إليه هيكل حتى ولو ساقته إليه المقادير، هذه الحادثة التي جاءت في "مذكرات الشباب"، يذكر أنه التقى بمن تدعى "بياتركس" حين نزلت أياماً بالفندق الذي كان يقيم فيه واتصل بها وقضى معها ساعات سعيدة...:"وأجدر هذه السويعات بالذكر سويعة آخر أيامها معنا، وتكلمني عن مصر وشأنها وتريد مني أن أكتب تاريخ أمتي في قالب روائي، ثم تطلب ضاحكة أن أقدم باسمها رواية من هذه الروايات. نعم بياتركس من أجل هذا الإهداء

الـذي تطلبين سأكتب تـاريخ مصر مهمـا كلفنـي وليكـون ذكرى لأسبوعين مـن أيـام الـحياة"(١٢٦).

ويقول:" وتعددت هاتـه السويعات وأحسست مـع ذلك كـأن نفسـي تتفتح وقلبـي يأخذه الخفقان بإحساس لا أقدر علـى تسميته لأنـي لا أعرفـه وشـعرت كـأن الوجود الـذي حرمنـي طـول هـذا العـام كـل متـاع بمعنـى الشـباب جـاد ففـاض ببيـاتركس وبالربيع"(١٢٧)." هذه هي الفتـاة التـي مـلأت وقتـي بالـذكر وعوضـتني بـذلك عن النزهـة والرياضة ووفرت علي كثيراً من الساعات ما كان أحوجني لها"(١٢٨).

وكان ولعاً مغرماً بالفتيات صاحبات الجمال النـادر الذي يأخذ بلُبِّـه(١٢٩)، ويـذكر أن حبه الوحيد فـي شبابه لـم يكن فـي مصر ولا فـي باريس بـل كـان مـع فتـاة كنديـة حيث العيش المملوء بالحب والسعادة(١٣٠).

ونشاهد زوجته في سفرهما إلـى باريس " للتعزي عن فقدان وحيدهما الصغير" فـي سنـة ١٩٢٦م، هـذه الرحلـة التـي يصـف فيهـا الأشـياء التـي يشـاهدها بكـل دقـة وتفصيل، بل يصف بنفس البراعة مشاعره وأحاسيسه تجاه ما يشاهده ويسمعه، وهو يخلط وصفه الموضوعي بوصفه الذاتي خلطاً يجعلهما سبيكة واحدة، وتتكرر عندئذ في أوصافه ألفاظ الجلال والإبداع والروعة والمتاع والبهر وغيرها، وبخاصـة اللفظتـان الأخيرتـان اللتـان قلمـا يستخدمهما غيره مـن كتَّـاب العصر الحديث، فيصف متحف " اللُّوفْر" ومعبد الموسيقى "الأوبرا" ومعبد التمثيل " الكوميدى فرانسيز "، كمـا يصف فـي رحلته ميدان " الكونكورد"، و " الشانزليزيه" وحديقة " التويلرى"...وغيرها من القصور التي يرى فيها قمة الجمال المعماري في العالم(١٣١).

٥.**معالم البنـاء الفنـي في ترجمتـه الـذاتية**: بدا أسلوب هيكل أسلوباً ناعماً رقراقاً، يفيض بنسيم الثراء، مع واقعية عالية وعفة أسلوبية، وروعة في الأداء.

" وأسلوب هيكل فـي الترجمـة لا يقل عن أسلوبه فـي التـأليف جزالـة ونصـاعة

وتدفقاً"(١٣٢).

كما أن أسلوبه يميل إلى إثبات الحقائق السياسية دون تعلق بخصائص الأسلوب الأدبي ولا سيما في كتابه " مذكرات في السياسة"، فلا تجد سجعاً أو ترادفاً أو صوراً بيانيةً مقصودة في تصوير الأحداث إلا ما جاء عفو الخاطر، حتى بدا أسلوباً سياسياً فيه شيء من الجفاف، يعكس شخصيته السياسية.

أ.أثر البيئة في أسلوبه: كان لهذه التنشئة أثر في أسلوبه الحر الطليق بلا قيود أو تعقيد، كما كان للبيئة الطبيعة ومشاهدها الخلابة أثر كبير في تصويره وكلماته، فلقد غلبت المشاهد التصويرية على كتابه الأول، وهو قصة "زينب" ليعبر عن أثر البيئة الريفية في افتتاحيته فيقول:" إلى هذه الطبيعة الهادئة المتشابهة اللذيذة"(١٣٣).

وتراه يصور جمال الطبيعة في ليل ساهر يملك كل كيانه ويحيط بوجدانه، ليرسم لنا هذا الليل الطرب المغنّى وسط عيدان القمح التي لانت بعد بسط الليل نداه، محتذياً الكلمات القرآنية التي تكسب النص قوة وهيبة، فيقول عن العمَّال:" تحت جنح الليل الأمين ينامون في الغيط، تكلؤهم السماء حتى منتصف الليل، ثم يقومون وقد أعطت الرطوبة عيدان الغلّة شيئاً من اللين بحيث لا تتقصَّف تحت كل يد لامسة، فيجيئون بشراشرهم على هذه المزرعة الواسعة، في هاته الليالي الساهرة، هاته الليالي البديعة يموج في جوها نسيم الصيف البليل وتتلألأ في سمائها الكواكب اللامعة، يقوم جماعة الفلاحين فيعتاضون بها عما يناله المترفون من أسفارهم إلى أجمل بقاع الأرض، وعن دثُرهم الناعمة يستعيضون القمر الساهر يكلؤهم بحراسته، وفي جوف الظلمة الصامت الأمين يرسلون بآمالهم وأمانيهم، ويحمل هواؤها الحلو أغانيهم على جناحه، ويملأ بها ما بين السموات والأرض"(١٣٤).

كما جاء في نصه السابق لفظة " تكلؤهم" وهي من الكلمات القرآنية التي تدلُّ على إعجازه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالـيْلِ وَالـنَّهَارِ﴾ (١٣٥).فقد ضمَّن عباراته

كلمات قرآنية معتمدا على المعنى دون المبنى، ولقد اعتمد على الاقتباس المباشر من القرآن الكريم في أكثر من موضع(١٣٦).

ب.صياغة الحدث: وبالنظر إلى نصوص السيرة الذاتية عند الدكتور هيكل سنجد أن نسبةً كبيرةً من هذه النصوص تعتمد على بنيةٍ تاريخية سردية تتمثل في أحداثها المُتتابِعة التي يمكنُها أن تمثل فعاليَّة واقعية في التاريخ عامة، فجاء التسلسل منطقياً مَن هذا الجانب مع قدرته اللغوَية والأدبية.

وبات هذا التسلسل واضحاً بصورة جليَّة في كتابه " مذكرات الشباب" والترتيب الزمني المؤرَّخ للأحداث منذ سفره إلى باريس حتى عودته إلى مصر(١٣٧).

ومما يدل على براعته اللغوية، وثراء حافظته، وامتلاكه للدلالات العميقة للمترادفات، فهمه لمعاني القرآن الكريم، أنه عندما كتب لطفي السيد مقالاً دعا فيه إلى "الاستقلال التام" عن تركيا، وخشى بعض رجال القانون من أصدقاء لطفي أن يقع تحت العقوبة القانونية، كتب د. هيكل يقول إنه لم يقصد فصل مصر عن تركيا، ولو أنه قصد ذلك لطلب " الاستقلال الكامل لا التام" فالاستقلال التام يحتمل المزيد بدليل قوله تعالى: «اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»(١٣٨) ، فالدين يوم كمل لم يكنَ ممكنا أن يزاد عليه، أماَ النعمةَ التي تمت فمن المَمكن زيادتها"(١٣٩).

أما استشهاد د.هيكل بالشعر فقد كان قليلاً إذا قيس بصاحبه، وهذا أمر طبيعي، فطه حسين أقرب إلى الأدب منه إلى السياسة، وهيكل أقرب للسياسة منه للأدب، ومن استشهاداته الشعرية، قول حسن باشا صبري حينما تولَّى الوزارة من غير أن يقدر معارضة (الهيئة السعدية) في البرلمان، تمثل قول سَلْمِ الخَاسِر:

مَنْ رَاقَبَ النَّاس ماتَ هَمًّا وَفَازَ باللَّذَة الجَسُورُ(١٤٠)

ويقول هيكل عن البشاشة التي شاهدها في أهلَ قريته حينا قدومه من

الحج:" فلما بلغنا الدار ألفيتُ أهلي وأبنائي وقوفًا في انتظاري وكلهم في لباس العيد، وألفيتُ لدى الباب عجْلاً ينحره القصَّاب ساعة دخولنا.... هذه هي المرة الثانية التي يلقاني فيها أهَلي بمثل هذا الترحاب وهذه الحفاوة حين أوبتي من سفري، أما المرة الأولى فكانت سنة ١٩١١م حين عدت من أوروبا لأول مرة بعد سنتين من مقامي بها طالباً أدرس بجامعة باريس،... وكنت في هذه المرة الثانية قد قضيت لله فرضاً"(١٤١). بخلاف طه حسين التي وجمت الأسرة واستاءت لدخوله ولم تكن قد أُنبئت بعودته من القاهرة(١٤٢).

وكعادة كُتَّاب التراجم الذاتية يغلب عليهم التكرار (ألفيت أهلي- وألفيت لدى- فيها أهلي)؛ ليؤكد شعوره بالبشاشة والمحبة والسعادة، كما يبدو أيضا الاقتباس من معاني القرآن الكريم دون مبناه في سورة يوسف(١٤٣)، في قوله " وألفيت لدى الباب.

وتأثر بالأسلوب النبوي في غير موضع متصرفاً في النص متأثراً بالمعنى، يقول:"إنني لا أخشى الفقر فذلك أهون ما أتوقع، وإنما أخاف شيئاً واحداً أن يضيع – أخاف عليه أكثر من حياتي- ذلك هو الصحة"(١٤٤). وهو قريب من قوله (ﷺ): فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى..... الحديث(١٤٥).

ج.أثر البعد الخارجي في لغة السيرة: كان للبعد النفسي والخارجي أثر في الترجمة الذاتية للدكتور هيكل، لإن التفسير النفسي يمكنه المطابقة بين حياة الكاتب الواقعية وأحاسيسه الداخلية وطبيعة أعماله، إذ ليست العلاقة بين حياته الخاصة وبين أعماله مجرد علاقه السبب بالنتيجة أو الجزء بالكل، فالأحاسيس والآراء في أعمال الكاتب، تنطبق على« الأنا » التي تتحدث عنه في ترجمته التي تجسِّدُ حياته الواقعية والسلوكية.

فكان يزداد شوق هيكل وتتحرك مشاعره حينما يترقب زينب حتى إذا واتته الفرصة، وسارت زينب إلى جانبه،" وجعلت تحدثه حديثها المعتاد، وهو سعيد تائه في لذته بسماعها، وتائه في تلك الساعة بعد غروب الشمس حين الأشياء أشباح لا تكاد تتميز، أحسَّتْ به يمدُّ يده يطوِق بها خصرها ويجذبها نحوه، فتركت نفسها له لحظة حتى إذا أحسَّت بشفتيه تقابلان شفتيها، وشعرت بكل ما في قبلته من الحرارة، انبرمت مرة واحدة مبتعدة عنه، ثم مالت برأسها نحوه، قالت:(أختي تشوفنا وبعدين تروح تقول لأبويه)، لكن حامداً أحسَّ بقشعريرة تسري في كل جسمه، كانت أولاً قشعريرة الرغبة، ثم انقلبت مرة واحدة قشعريرة العظمة والترفع""(١٤٦).

ففي هذا النص يعيش الكاتب سعادة داخلية حقيقية تتمثل في سيطرة الإحساس بالرغبة والاقتراب، وسعادة خارجية تتمثل في فكرة اللقاء والعظمة، حين الشعور بأثر الآخرين في حياته، لذا تتحكم العوامل الخارجية في الشحنة النفسية التي تصنع القرار أولاً.

كما اعتماد الكاتب في هذا النص على اللغة الفصيحة، والتراث اللغوي، وهو الأسلوب الغالب على الترجمة الذاتية لهيكل، في عبارات رقيقة سهلة لا تتطلب مرجعاً لغوياً، كما تجده يأتي بالكلمات العامية(انبرمت)، والعبارات المتداولة الشائعة في الأوساط الريفية (أختي تشوفنا وبعدين تروح...)، الخالية من الطابع الإعرابي؛ لتشهد له بثقافة عصره ومعرفته باللغة الدارجة المألوفة، ومعرفته بطبائع الناس في قريته.

• ثانياً: الفروق الجوهرية في الترجمة الذاتية بين الدكتور طه والدكتور هيكل:

١.كان الحديث النفسي والصراع مع البيئة والخصوصية المسرفة التي جعلتنا نعرف الكثير عن حياة د.طه حسين الخاصة، على العكس تماما منه د. هيكل الذي غابت

في ترجمته هذا الجانب واحتفظ بأموره الذاتية عن ترجمته، عدا ما يبدو على استحياء في مذكرات الشباب"، فإن كان د. حسين انطوائياً في طفولته إلا أنه كان جريئا حينما كتب في كبره وشبابه، وإن كان د. هيكل اجتماعياً في طفولته وصباه إلا أنه كان كثير الحيطة والاتقاء في كبره ، ومن ثم خلت ترجمته من الحديث عن زوجته وأولاده أو حياته الخاصة، وربما فرضه عليه منصبه السياسي الرفيع في الدَّولة.

٢.غلبة اللغة الحسية الوجدانية التي تقوم على الإدراك العاطفي عند د.طه حسين، أما د.هيكل فقد سيطرت على أغلب كتاباته اللغة العقلية، إلا ما جاء من إدراك عاطفي في قصته الروائية "زينب"، وبعض الصور النادرة في مذكراته التي يظهر فيها هذا الجانب.

٣. يغلب على أسلوب د. طه ومقالاته القصر والإيجاز والعناوين الجانبية كما في "الأيام" و"أديب"؛ ليولّد الإثارة والإمتاع والاستئناس، أما مذكرات د. هيكل فيغلب عليها الطول والاستطراد، ويغلب عليها الجانب التاريخي السياسي أكثر من الجانب الشخصي الذي يبدو في كتابات د. طه، فهي أقرب إلى التاريخ منه إلى الترجمة الذاتية.

٤.تحققت المصداقية في مذكرات د. هيكل التي يشهد لها التاريخ السياسي؛ وإن كانت مذكراته لم يكن في مقدورها أن تتناول كل الميادين التي نشطت في مصر خلال هذا العهد على حدّ قوله(١٤٧)، فهي وثيقة تاريخية لأحداث اندلعت في تلك الحقبة شارك فيها أو اتصَل بها، يقول هيكل عن جزأي مذكراته برغم أن الثاني متمم للأول:" ففي الجزء الأول تصوير لجهاد الشعب والساسة والأحزاب في مصر، بقدر ما شاركت في هذا الجهاد أو اتصلت به.....أما هذا الجزء الثاني فيقصُّ ما شاركت فيه أو اتصلت به من الحوادث التي تلت تلك المرحلة الأولى، وقد كنت في هذه المرحلة الثانية وزيراً ثم رئيس حزب ثم رئيساً لمجلس الشيوخ"(١٤٨)، أما " الأيام"

لطه حسين فهي صورة تخضع لاختيار الكاتب، تتحكم فيها الصراعات النفسية ورغبته في إظهار شخصيته المظلومة طول الوقت ولا سيما في الجزء الأول من الأيام، فهي رواية فنية مكتملة الأركان إلا أن خُلوَّها من الموضوعية أضعفها وقلل من مصداقيتها.

٥. جاء التسلسل للأحداث منطقياً في الترجمة الذاتية عند د.طه حسين أكثر منه عند د.هيكل الذي جاء في صورة مقالات مطوَّلة يصل المقال الفصلي فيها إلى ٣٥ صفحة، لم تجد للذاتية فيها إلا صفحات معدودة، فكان الإطناب والاسترسال التاريخي السياسي مما غلب على مقالاته التي جاءت في أربع وعشرين مقالة.

٦.قلة الحوار في الترجمة الذاتية للدكتور طه حسين، وهذا أمر طبيعي في التراجم الذاتية، أما الدكتور هيكل فقد كثر الحوار بينه وبين زملائه(١٤٩) وبينه بين جلالة الملك(١٥٠).

٧. سيطرة لغة الجِّد الذي يخالطه الدعابة والاستهزاء في الأسلوب السردي والحواري عند د. طه، غيرهَ عند د. هيكل الذي لم يعتن بهذا الجانب كثيرا .

وللدكتور هيكل بعض الحوارات الدعابية – وإن كانت نادرة– منها: حوار فيه شيء من الفكاهة والدعابة التي يخالطها الجِدُّ دار بينه وأحمد محمد حسنين (بك) الأمين الأول للملك، وقد اجتمعا على مائدة غَداء عند الملك، قال هيكل:" فلما استقر بنا المجلس حول المائدة وجَّه حسنين (بك) إليَّ الحديث في ابتسام، قائلاً:

–لقد رفضتَ يا صديقي من قبل وظائف الحكومة، وها أنت ذا قبلتها اليوم.

–فأجبته– وقد تولتني الدهشة–: أنا قبلت اليوم وظيفة في الحكومة؟ كيف هذا؟

–قال مداعباً: ألستَ وزيراً؟

– فأجبتَ دعابته في جدٍ يخالطه الابتسام: الوزير موظف؟. كلا يا صديقي لم يجل هذا بخاطري يوما من الأيام....الخ"(١٥١).

وله حوارٌ ثانٍ مع أحد أصدقائه الذي طلب منه – استجابة لإلحاح ابنته– أن ينقل ضابطاً من قسم العطارين إلى قسم المنشية (١٥٢).

ومن الحوارات التي تحمل شيئا من الدعَابة الصريحة مع المجيء بالأمثال العامية، ما دار بين وبين ابنته حينما نشرت الصحف مرسوماً أن الوزراء أنعم عليهم برتبة الباشوية، يقول هيكل: "وبعد يومين جاءت إليَّ ابنتي التي لم تكن تبلغ من العمر يومئذٍ إلا أربع سنوات وأربعة أشهر وسألتني وعليها علائم الدهشة: صحيح إنك أصبحت باشا؟ وأجبتها مبتسماً: نعم يا صغيرتي. قالت: ولكنك كما أنت، لم يتغير منك شيء؟. فابتسمت كرة أخرى وذكرت المثل: خذوا الحكمة من أفواه الأطفال، بل من أفواه المجانين"(١٥٣).

٨.اعتمد د. طه حسين على (ضمير الغائب)، ولكي " تكون هنا سيرة ذاتية، يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية التي تحرك أحداث العمل الفني"(١٥٤)، وهذا لا يتوفر مع ضمير الغائب بصورة مباشرة. واعتمد د.محمد هيكل على (ضمير المتكلم) الذي تبدو فيه شخصيته قوية غير متوارية خلف الضمير، وهو الاعتماد الأمثل والأفضل.

٩.ولقد كانت الغاية من الترجمة الذاتية عند هيكل واضحة وهي تسجيل تلك الفترة من تاريخ مصر ومدى مشاركته فيها واتصاله بأحوال وطنه. أما الغاية من الترجمة الذاتية عند طه حسين فغير واضحة، وإن بدت من كتاباته رغبتُه في الاحتجاج والثورة على البيئة القروية وما خلفته له من آفات وهموم في طفولته، وتسجيل جزء من حياته.

ومن تلك الدوافع التي تحفّز الأديب إلى تدوين مذكراته ويومياته كما ذكرها د. يحيى عبد الدايم حين حديثه عَن التراجم الذاتية في التراث العربي الاستجابة لرغبات الأنا هي: التبرير، أو الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة، أو التخفف

من الثورة والانفعال، أو تصوير الحياة المثالية، أو تصوير الحياة الفكرية، أو الرغبة في استرجاع الذكريات(١٥٥).

ومن أهم ما يتفق فيه كلاهما، تنوُّع التيارات الثقافية، فلقد تأثر كلاهما بالثقافة العربية وبالبيئة القروية، وتأثر كلاهما أيضا بالثقافة الغربية وبالبيئة الفرنسية.

وبدا هذا التنوع في الفكر والتنوير الذي دعا إليه كل منهما، أما الأسلوب فظل يحمل الصبغة العربية المصرية الخالصة التي يظهر من بين ثناياها عبق البيئة القروية، وعطور الطبيعة الخلابة، مع ما يحمله أسلوب طه من الأسى النفسي والحزن العميق.

المبحث الثاني:

الترجمة الغيرية بين الأديبين

لا شك أن الأديبين من روَّاد الجيل الأول للترجمة الغيرية في العصر الحديث، ومن الرعيل الأول الذي حمل أعباء الأدب والسياسة والثقافة الغربية، والتحرر من الاستعمار، فلا يكاد القارئ يحس بوحدة التخصص عندهما، فكلاهما أديب وسياسي وصحافي تنوَّعت مجالاتهما وفنونهما بين القصص والتراجم وكتابة المقالات تنوُّعاً أثرى الحياة الثقافية ورسم خطاً واضحاً للأجيال التي جاءت من بعدهما.

فالترجمة الغيرية هي التناول لشخصية ما في قالب تاريخي وأدبي؛ ومن ثم لابد أن تشتمل على عنصرين أساسيين فيها:" التجربة الشعورية، والعبارة الموحية عن هذه التجربة؛ لأن إحساس المؤلف بحياة من يترجم له، وبظروفه وحالاته النفسية، وتطبيقها على تجاربه هو في عالم الشعور والحياة، ومحاولة استنفاد الملابسات التي أحاطت بحياة بطله ....، واستحضارها في الذهن والشعور من حياة البطل لحظة فلحظة..... فإذا خلت الترجمة من هذين العنصرين أو من أحدهما، استحالت سيرة أو تاريخاً بعيداً عن عالم الأدب، فمجرد سرد الحوادث والوقائع – مهما بلغ من الدقة والتفصيل والتحقيق– ليس هو الترجمة، وإنما هو المادة الخامة التي تصنع منها الترجمة، حين يتناولها مؤلِّفٌ موهوب"[١٥٦].

• ترجمة الشخصيات الإسلامية عند الأديبين

رسم الكاتبان أبعاد الشخصية الإسلامية بكل دقة وإبداع مع اختلاف المعالم التي اعتمد عليها كل منهما، والأسلوب الذي خاضا به ترجمتهما، وطريقة التناول لديهما.

وقام منهج الأديبين في ترجمة الشخصيات الإسلامية على تعدد الروايات وتنوعها، والوقوف أمام الروايات المختلفة والمتعارضة بمساءلة ومناقشة وتعقيب ورد وتحليل يفضي إلى الرفض أو القبول.

ليتناول الكاتبان تلك الفترة الأولى في بناء الحضارة الإسلامية التي كانت من أصعب فترات التاريخ الإسلامي الذي قاد العالم، وانقادت له الحضارات وخضعت له الملوك والأكاسرة، فاحتاج لأمثال هؤلاء الكُتَّاب، دون النظرة الدونية التي نلحظها من بعض الكُتَّاب الآخرين عند الحديث عن تلك الفترة.

أولاً: أبعاد شخصية عثمان بن عفان(ﷺ) بين الأديبين:

قام الأديبان برسم ملامح شخصية عثمان بن عفان (ﷺ)، ووضع كل منهما أبعاده التي تبرز فنياته القصصية؛ وبراعته في التناول، فيشعر القارئ بمتعة الفوارق بين الأبعاد والملامح لشخصيةٍ واحدةٍ تناولها كل أديب في نصه؛ لإثارة الحس مع إظهار البراعة في التعامل مع اللغة، والتمسك بحقائق شخصيَة تاريخية مؤثرة في هذا الدين الحنيف، وإن ظهرت للحظات حدَّةُ انفعال أو غضب للوجه الذي يراه الكاتب صواباً، مع البقاء في إطار الوقار، والتمسك بالحقائق.

ومما يعطي الترجمة أحقية البقاء والخلود، هو قدرة الأديب على تصوير الأحداث، وتوضيح ملامح الشخصية، والتقاط صور المكان، والمحافظة على مناسبة الزمن لما يمور في نفسه من مواقف واتجاهات وآراء لا تتلاشى أهميةُ أحداثها مع التقدم الزمني.

وسوف نتناول ومضات من الملامح التي تبرز –بجلاء– شخصية عثمان بن عفان (ﷺ)عند الأديبين، وأهم ما يميزُها ذاتياً ونفسياً واجتماعيا وسياسياً، ومحاولة إلقاء الضوء لتوضيحها:

١. الملامح الذاتية والصفات النفسية والدينية:

يبدأ د. طه حسين حديثه في فصله الرابع عن البعد الذاتي لعثمان بالتعريف المباشر بمدوَّنته الأسرية، فحدد انتسابه وانتماءه، فقال:" هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، فهو يلتقي مع النبيﷺ في عبد مناف من قبل أبيه، ولكنه يلتقي مع النبي (ﷺ) من قبل أمه لقاء أقرب من هذا؛ فأمُّه أروى بنت كريز، وأم أروى هي البيضاء بنت عبد المطلب؛ فقد كانت أروى بنت عمة النبي[١٥٧]"(ﷺ).

وأشار د. هيكل إلى اسمه وقرابته للنبيﷺ من ناحية أبيه، حيث يلتقي عثمان مع النبيﷺ في" قُصي"، وهو الجدُّ الرابع للنبي والخامس لعثمان، ولم يشر إلى قرابته للنبي ﷺ من ناحية أمه[١٥٨].

ويفصح د. طه عن مكان ولادته وإلى اختلاف الرواة في سنة مولده (ﷺ) كما اختلفوا في سنة وفاته؛ فلا يكاد التاريخ يحفظ شيئا من ذلك، فيقول:" يقال إن عثمان ولد في العام السادس بعد وقعة الفيل، وكان يقال كذلك إنه ولد بالطائف؛ ولعل هذا كل ما حفظ من تاريخه الأول على غير ثقة من الذين رووه، وليس أدل على ذلك من الاختلاف في سنّه حين قُتل؛ فقد كان قوم يرون أنه قُتل وهو ابن خمس وسبعين، وكان قوم آخرَون يرون أنه قتل وهو ابن تسعين أو ثمَان وثمانين أو ست وثمانين، وكان آخرون يرجحون أنه قتل في الثانية أو الثالثة والثمانين من عمره، ولو أنهم عرفوا تاريخ مولده بالضبط لما اختلفوا في سنّه هذا الاختلاف"[١٥٩].

ويرى د. هيكل أن " عثمان قد ناهز السبعين حين بويع"[١٦٠].

ويتَّفقان على سنة ولادته، وتنعكس شخصية د. هيكل وحياتُه على شخصية عثمان، فيلتقط من بين سطور الكتب ما يدل على أنه كان كريم النشأة، ثرياً يعيش

في سعة من العيش، فيقول:" ولقد عاش في صباه وفي شبابه عيش أمثاله الموسرين من قريش عامة ومن بني أمية خاصة"(١٦١).

ويتوافقان أن عثمان كان تاجراً كما كان أبوه وعشيرته من قبله، فيقول د. طه :"وكان عفان، كما كان أبوه، وكما كان بنو أمية جميعاً ..... صاحب تجارة يخرج بها إلى الشام، وقد مات في إحدى خرجاته وترك لابنه ثراء حسناً، وذهب عثمان مذهب أبيه، بل مذهب قومه جميعاً في التجارة، فأفاد مالاً كثيراً"(١٦٢).

ويتفق الأديبان – في حديث طويل يرويه المحدثون وأصحاب السير– على إقباله على الإسلام دون تردد أو ريبة، فيقول د. طه:" ومهما يكن من شيء فقد كان عثمان من السابقين إلى الإسلام،.... وكان إسلامه قبل أن يستقر النبي(ﷺ) بدعوته في دار الأرقم"(١٦٣).

ويطالعنا د. هيكل برواية أخرى– لم يذكرها د. طه– لإسلام عثمان فيقول:" قال عثمان: يا رسول الله، قدمت حديثاً من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام إذا مناد يناديا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة....الخ"(١٦٤).

وينفرد د. هيكل أيضا برواية حواريَّة بينه وبين خالته سعدى بنت كريز(١٦٥) العرَّافة التي بشَّرته بزواجه من رقية، وأن :" محمد بن عبد الله رسول من الله، بتنزيل الله، يدعو به إلى الله"(١٦٦).

فأسلوب تعدد الروايات من السمات البارزة في ترجمة عثمان عند الأديبين، قد يعقّبان على هذا التعدد عَقِب الروايات، أو قد يغفلانه، يعلق د. هيكل على تعدد الروَايات في إسلام عثمان فيَقول:" هذه روايات قيلت في إسلام عثمان، لك أن تأخذ منها ما تشاء وأن تدع ما تشاء"(١٦٧).

ليس هذا فحسب بل يختار د. هيكل ما تركن لها قريحتُه، ويبرهن على اختياره، فيقول:" ولك أن تقول إن رواية ابن كثير موضوعٌ أكثرها، فلم يكن أمر محمد قد فشا

إلى يومئذ في قريش، وكانت دعوته لا يزال الناس يتحدثون عنها على استحياء.... ولعل ابن كثير ساق هذه الرواية عن الحافظ بن عساكر عمن أخذها الحافظ عنهم لأنها تتفق وما عرف من رِقة عثمان وتملك العاطفة قلبه"(١٦٨).

كان(ﷺ) شديد التمسك بإسلامه، حاول عمُّه الحكم بن أبي العاص أن يثنيه عن الدخول في الإسلام وأقسم لا يضع عنه وثاقه حتى يعود، يقول د. طه:" فلمَّا رأى تشدد عثمان في دينه ردَّ إليه حرِيته"(١٦٩). ويقول د. هيكل:" ورأى عمُّه صلابته في الحق وشدة استمساكه به فلم يجد بدًّا من إرساله"(١٧٠).

فنلحظ انعكاس شخصية الأديبين على اختيار الألفاظ، فلقد اختار د طه لفظ "الحرية"؛ للتعبير عن التحرر والانعتاق، ليذكّرنا بما عانه من قيود العادات والتقاليد في البيئة القروية التي حاول الثورة عليها وَالتحرر منها، كما هو ظاهر في كتابه " الأيام"، أما د. هيكل فما زال يسترسل في حياته بلا قيد أو انغلاق فجعل لفظ " إرساله" في تعبيره.

ويمتثل الأديبان إلى أن عثمان كان حسن العشرة والأنس، كريم النفس، أصهر إلى النبي(ﷺ) فتزوج ابنتَيْه رقية وأم كلثوم، وكان رقيق القلب، حَزِن لموت رقية حزناً شديداً؛ فزوجه النبي(ﷺ) بَأم كلثوم، يقول د. طه:" ولانقطاع الصهر بموتها بينه وبين النبي(ﷺ) [حزن حزنا شديداً]، ولكن النبي(ﷺ) زوجه أختها أم كلثوم، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى ماتت، وقال النبي(ﷺ): لو كانت عندنا أخرى لزوجناها عثمان، وكانت رقية قد ولدت له عبد الله، ولكنه مات في السادسة من عمره"(١٧١).

وانفرد د. هيكل بالحديث عن زوجات عثمان في الجاهلية والإسلام دون قطع في أمر مشاركتهن رقيةَ، ثم أمَّ كلثوم فراشَه، فقد تزوَّج قبل رقيَّة وبعد أم كلثوم غير واحدة، تزوج من فاختة ابنة غزوان، وأم عمرو بنت جندب، وفاطمة ابنة الوليد، وأم البنين بنت عيينة، ورملة ابنة شيبة، ونائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص وهي التي

حضرت مقتله، وقد أعقب من هاتيك النسوة جميعاً بنين وبنات يزيدون على الخمسة عشر(١٧٢).

فقد تزوج ثَماني نسوةٍ أو أكثر، وله من العقب ما يزيد على خمسة عشر.

ذكر الأديبان تخلف عثمان عن غزوة بدر بمرض رقية، ثم شهد كل المشاهد بعد ذلك، مما يدل على عفو الله تعالى عنه، يقول د. طه:" وشهد عثمان المشاهد كلها مع رسول الله كما شهدها غيره من كبار الصحابة"(١٧٣).

ويتفق الأديبان(١٧٤) على فراره يوم أحد ثم حضوره ما تلاها من غزوات، ويتناول د. هيكل بكل حيادية وموضوعية الحديث فيقول:" فكان شأنه فيها جميعاً [أي: الغزوات] شأن رجل من المسلمين ليس في مقدمتهم ولا في مؤخرتهم؛ ذلك بأنه لم يكن من أبطال الحرب... ممن تثير حمية القتال نفوسهم..... بل كان رجلاً ساكن النفس يسير حين الحرب في صفوف الجماعة لا يتقدمها ولا يستأخر عنها"(١٧٥).

ويعتمد الأديبان على النص السردي في كثير من الأقوال والأحاديث، فهو يعدُّ من أهم الأشياء التي تدل على أن المترجِم ملمٌّ بكثير من المعارف، بصير بدقائق الأمور، مطلع على سرائر الأحداث، قادرٍ على الوصف الدقيق للمشاهد والتحليل المنضبط للشخصيات ودواخلها، كما يوحي بقراءته المتأنية لكل ما يرتبط بالأشخاص والأحداث.

لذا تجد السرد عند الأديبين يتوغل في أدق التفاصيل التي تؤكد اطلاعهما وبراعتهما في وصف المكان والشخوص والأحداث،

فتجد د. طه يجمع من الصفات الأخلاقية التي تميَّز بها عثمان، وانفرد بها عند النبي(ﷺ) وبين أصحابه، فقال:" كان أبر الناس بالناس، وأرفق المسلمين بالمسلمين، وأحرصهم على صلة الرحم، وأسخاهم يداً، وأسمحهم نفساً، وأعظمهم

حلماً، وكانت الخصلة التي ميَّزه بها النبي(ﷺ) فيما روي " صدق الحياء"، ....ولما كان يوم الحديبية اختار النبي(ﷺ) عثمان سفيراً إلى قريش؛ لمكانته من بني أمية، ولمنزلته من قريش، وللينه وسماحة خلقه، وحسن تأتيه لما كان يراد من الأمر، .... وقد روى المحدثون وأصحاب السير أحاديث كثيرة.... وكلها تحدث بأن عثمان كان عند النبي(ﷺ) محبباً إلى نفسه مقربا إليه من خاصة أصحابه، وبأن النبي(ﷺ) قد بشر عثمان بالجنة غير مرة، وأنبأه رضا الله عنه غير مرة أيضاً"(١٧٦).

وما أعظم هذه الصفات وأجلّها، وقد ذكر د. هيكل مثل هذه الصفات وزاد في غير موضع بأسلوب سردي يعكس شخصيته في اختياره لألفاظ الصفات، فقال:" وكان شديد الحياء"(١٧٧)، و" كان يعاف الحوار وطول الجدل"(١٧٨)،" لين الجانب"(١٧٩)، لم ينزلق مع نزوات الشباب(١٨٠)،" جعله ثراؤه وعلو حسبه كريماً محسناً، وحببه كرمه وحببته رقته إلى الناس، ثم كان لاعتداده لعشيرته واعتزازه برأيه محترماً فيهم مرموقاً منهم بعين التقدير والإكبار"(١٨١)، و" كان رقيق القلب حلو المعشر، للعاطفة على نفسه سلطان أي سلطان، وكانت رقته وحلاوة معشره تدعوانه لتجنب الأذى والقسوة ما استطاع إلى ذلك سبيلا"(١٨٢)، ويشير الأديبان في غير موضع لمسالمته ولسخائه فقد شارك في جيش العسرة بثلاثمائة بعير كاملة العدة، وبألف دينار وضعها في حجر النبي(ﷺ)، واشترى بئر رومة من اليهودي وجعلها للمسلمين(١٨٣).

وانفرد د. هيكل بذكر الصفات الخلْقيَّة لعثمان صابغاً هذه الصفات بالثراء ولين العيش، فيقول:" كان رجلاً ليس بالطويلَ ولا بالقصير، حسن الوجه، رقيق البشرة، أسمر اللون، به شيء من أثر الجدري، كبير اللحية عظيمها، عظيم الكراديس(١٨٤)، عظيم ما بين المنكبين، أصابه الصلع بعد أن كان كثير شعر الرأس، وكان يشد أسنانه بالذهب"(١٨٥).

وقد يغضب الحليم، فلقد ذكر له د. طه في أكثر من موضع ذهب فيه حلمه وظهر غضبه، فقد سبَّ عثمان عمار بن ياسر قائلاً له:" أعليَّ يا ابن المتكاء[١٨٦] تجترئ"، وضربه حتى غُشى عليه[١٨٧].

فدقة السرد الوصفي ومتابعة الأحداث بهذه الكيفية ليست وليدة الخيال، وإنما هي إشارة إلى المترجم العليم الذي امتزج بالشخصية التي يترجم لها، وعرف كل أوصافها وتفصيلها ودقائقها.

وانفرد د. هيكل بالحديث عن البعد الديني لشخصية عثمان، الذي لا يقل عن ملامح كبار شخصيات الصحابة كأبي بكر وعمر وعلي، فقد خَلُصت حياته لدين الله تعالى ورفع راية الإسلام منذ أن أسلم (ﷺ)، ولقد أكَّد ذلك د. هيكل في غير موضعٍ، يقول:" فقد كان الخليفة الشيخ من أتقى الناس ومن أكثرهم حياء وأصدقهم إيماناً، وكان يقول:" لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف". لما تسور الثائرون بعثمان عليه داره ألفوه يقرأ القرآن، وما مات حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه. وقالت امرأته نائلة للذين أحاطوا به في داره يوم مقتله:" إن تقتلوه أو تدعوه، فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن". وكان عثمان إذا قام في الليل للصلاة لا يوقظ أحداً ليعينه على وضوء إلا أن يجده يقظان، فقيل له غير مرة:" لو أيقظت بعض الخدم؟" فكان يقول:" لا، الليل لهم يستريحون فيه". وما كان عليه عثمان من صدق الإيمان هو الذي أدى به إلى جمع الناس على قراءة واحدة للقرآن، وإلى إحراق ما سوى مصحف عثمان من المصاحف"[١٨٨].

ويشير د. طه إلى تاريخ بيعته ليكون خليفةً للمسلمين بعد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً، فيقول:" ولم ينقض هذا اليوم، وهو اليوم الأخير من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، حتى كان عثمان إماماً يستقبل بخلافته سنة أربع وعشرين في أثبت ما روى المؤرخون"[١٨٩].

٢. بين المرجعية التاريخية والتخييل:

تسعى الكتابات الحداثية للربط بين التاريخ الوصفي والتخيّل التاريخي، للبحث عن آفاق تستكشف الماضي في صورة أنماط تحمل دلالات ذات عبر وتوجيهات من خلال الإضافات السردية الحيَّة، وذلك حينما،" تكون الأحداث المتخيلة المروية وقائع ماضية، فيرتسم وجه من وجوه التشابه بين السرد والتاريخ، ولعل التخيل التاريخي هو الذي يضفي على الماضي صبغة الحيويّة التي تجعل من كتاب عظيم في التاريخ تحفة أدبية"(١٩٠)، فالتخيل التاريخي هو :" المادة التاريخية المَتشكّلة بواسطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية، وأصبحت تؤدّي وظيفة جمالية ورمزية، فالتخيل التاريخي لا يحيل على حقائق الماضي، ولا يقررها، ولا يروج لها، إنما يستوحيها بوصفها ركائز مفسرة لأحداثه، وهو من نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزّز بالخيال، والتاريخ المدعم بالوقائع، لكنه تركيب ثالث مختلف عنهما. وقد ظهر على خلفية من أزمات ثقافية لها صلة بالهوية، والرغبة في التأصيل، والشرود نحو الماضي، باعتباره مكافئًا سرديًّا لحاضر كثيف تتضارب فيه وجهات النظر، فوصول الأمم إلى مفترق طرق في مصائرها يدفع بسؤال الهوية التاريخية – السردية إلى المقدمة، ويصبح الاتكاء على الماضي ذريعة لإنتاج هوية تقول بالصفاء الكامل، والمسار المتفرد بين الأمم والجماعات التاريخية. إن وجود الماضي في قلب الحاضر يكون مهمًّا بمقدار تحوله إلى عبرة للتأمل، وتجربة داعمة للمعرفة"(١٩١).

فالتاريخ والسرد لا يختلفان وإنما" يتقاطعان في أكثر من علاقة، وهذا التقاطع يجهز على الثنائية القائلة باختلافهما الكلّي، فقوة التاريخ وقوة السرد تجدان المعنى المشترك لهما في "إعادة تصوير الزمان"(١٩٢).

قد كان لعثمان (ﷺ) دور فعال في بناء الخلافة الإسلامية منذ أول وهلة حظيت بها الدولة الإسلامية بالاستقرار والاعتراف بها ككيان جديد في أرض الجزيرة

وإن قلَّ عن دور أبي بكر وعمر، وعن دور أصحاب الحروب في الحروب كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم جميعاً.

وحين يسرد د. هيكل الأحداث سردا زمنياً متتابعاً، تشعر كأنك أمام مؤرخ تاريخي، وعالم بالأنظمة البرلمانية والقيادية، وهذا مما يعكس أثر حياته السياسية على شخصية عثمان في بعض اختياراته للألفاظ والتراكيب السياسية.

وينفرد د. هيكل بالحديث عن دور عثمان في زمن النبي(ﷺ) وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وما كان له من باع كبير في التجارة وقليل من السياسة.

يقول د. هيكل: "على أن ما كان لعثمان من هذه المكانة في قلب رسول الله لم يجعل له من الرأي في سياسة النظام الناشئ ما كان لأبي بكر وعمر، فأبو بكر وعمر كانا وزيري رسول الله وصاحبي مشورته، ..... ولم يكن لعثمان من الرأي في الحرب ما كان لسعد بن أبي وقاص أو الزبير بن العوام، وإنما كان عثمان رجلا ورعا شديد الإيمان"(١٩٣).

وعن دور عثمان في عهد أبي بكر يقول د. هيكل:" وكان شأن عثمان في عهد أبي بكر الصديق كشأنه مع رسول الله، كان منصرفاً إلى تجارته، وكان يدع لخليفة رسول الله من حرية التصرف في شئون الدولة ما توجبه التبعة الملقاة على عاتقه"(١٩٤).

وكان عثمان مع عمر رضي الله عنهم في خلافته،- كما يقول د. هيكل-" أقرب إلى الاتفاق في أكثر الأمور..... وكان عثمان عزيزاً على عمر حبيباً له طول خلافته، فلما طعن عمر عين الشورى ثم بايع الناس عثمان" (١٩٥).

إن سير مثل هذه الشخصيات الإسلامية التي مثلت الإمبراطورية الإسلامية في بداية نشأتها كأبي بكر وعمر وعثمان ومن قبلهما النبي(ﷺ)،" جعلت من السرد وسيلة لاستعادة أفكارها ومواقفها، دون أن تنقطع كلّياً عن حقيقتها التاريخية....

فمن وراء شخصيَّات التاريخ ترتسم رؤية ناقدة للتدهور الأخلاقي والقيمي والسياسي"(١٩٦).

ولقد تناول د. هيكل نظام الشورى الذي وضعه عمر بن الخطاب(ﷺ) تناول الخبير السياسي – مما يعبر عن رضاه عن هذا النظام وعدم معارضته له– فهو عالم بالمجالس البرلمانية وما فيها من تشاور وإبداء رأي، كأنه يحيط بما في هذا المجلس من أفكار يتداولها الأعضاء، فيصور لنا هذا المجلس، كأنك تشاهده شاخصا أمامك برئيسه عبد الرحمن بن عوف، وهو يأخذ البيعة لعثمان بعد التشاور، فيقول :" ألمحَ الآن عبد الرحمن بن عوف وهو بمجلسه على المنبر والمسلمون من حوله قد امتلأ بهم فراغ المسجد فلا يفوتني شيء من أمارات الجد البادية على وجهه، إنه عزم أن يجعل الخلافة لعثمان وأن يدعو الناس لبيعته"(١٩٧). ويقول د. هيكل إن الروايات أجمعت " على أن الناس أقبلوا على بيعة الخليفة الشيخ، لم يتخلف منهم أحد ولم يعترض أحد"(١٩٨).

أما د. طه فقد عاب نظام الشورى الذي وضعه عمر بن الخطاب، فيقول:" إن نظام الشورى هذا كما وضعه عمر لم يكن كافياً ولا مقنعاً"(١٩٩).

ويؤكّد ذلك في موضع ثانٍ ويذكر أسباب القصور فيقول:" وما من شك في أن النظام الَذي وضعه للشورى قد كان نظاماً لا يخلو من نقص، ولعله لا يخلو من نقص شديد، وأول ما نلاحظه على هذا النظام ضيق مجلس الشورى؛ فقد ائتلف هذا المجلس من سبعة"(٢٠٠).

ويشير إلى سبب آخر فيقول:" وآفة أخرى نراها في تنظيم الشورى على هذا النحو، وهي أن سلطان المشيرين كان سلطاناً موقوتاً حدَّد له عمر ثلاثة أيام ، وقبل المسلمون منه هذا التحديد"(٢٠١).

وإن كنت أرى أن د. هيكل هو أوْلَى وأحَقُّ بالفَصل في نظام الشورى إذا كان مناسباً أو به عيب؛ لكونه سياسيا وبرلمانيا في المقام الأول. ولمسمَّى كتابه" بين

الخلافة والملك" ثانياً. ولقد عرض الطبري قصة الشورى وفصَّل القول فيها تفصيلًا ولم نر منه ذماً أو إشارة إلى عيب، بل أثنى على الستة غير مرة[٢٠٢]، وكيف يكون النقص من رجل شهد له رسول الله بتمام العلم، روى البخاري عن ابن عمر، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ» قالوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يا رسول الله؟ قال: «العِلْمَ»[٢٠٣]، وما النقص في أول مجلس شورى في الإسلام؟!، فكل شيء له حق النَشوء والارتقاء، وما العيب في مجلس مكوَّن من سبعة: مشير خارجي وهو عبد الله بن عمر، ورئيس داخلي وهو ابن عوف، وخمسة أعضاء ممن رضي الله ورسوله عنهم، وما العيب في التوقيت؟، وإنما أقته عمر حتى لا يطول فيقع الخلاف، والله أعلم.

ثم تساءل د. هيكل وتناقش سياسيا حول موقف علي بن أبي طالب بعدما عرض ثلاث روايات متباينة اختلفت في موقفه من بيعة عثمان اختلافاً يتعذر معه ترجيح، الأولى: رواية " ابن سعد في طبقاته أن علياً بايع أول الناس"، ويسوق للطبري روايتين، يدلان على أن اختيار عثمان ترك في نفس علي أثراً عميقاً، ويفسر ابن كثير روايتي الطبري فيقول:" وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره من رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: " خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه". وإنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه.. إلى آخر الآية، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وفاعليها"[٢٠٤].

ويميل د. هيكل إلى ما ذكره ابن كثير، الذي يرى أن روايتي الطبري موضوعتان، فيقول:" ويغلب على الظن أن الكثير منها وضع من بعد دعاية لأغراض سياسية"[٢٠٥].

ويعتمد د. طه على دمج رواية ابن سعد، ورواية الطبري، متصرفاً فيهما،

فيقول:" وبايع عليٌّ فيمن بايع ولم يتردد، ويقال إنه تردد، فقال عبد الرحمن: يا عليُّ، لا تجعل على نفسك سبيلا، ثم تلا الآية: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه ومَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيه أَجْراً عَظِيماً»(٢٠٦) ، فأُقبل عليٌّ فبايع"(٢٠٧).

اكتفى د. طه بهذا العرض السابق المبسَّط، ثم أحسن القول في الأمر فقال:" وأكاد أقطع بأن علياً لم يتردد ولم يحتج إلى من يذكره بالعهد الذي أعطاه على نفسه؛ فعليٌّ أوفي بالعهد وأكرم على نفسه من أن يحتاج إلى مثل هذا التنبيه، وسيرته كلها تنبئنا بذلك"(٢٠٨).

وعليه يتوافق الأديبان في أن عليًّا بايع ولم يتردد، ويردَّان كل رواية تقول بخلاف ذلك.

وتعددت الروايات في خطبة بيعة عثمان(ﷺ)، التي انفرد بها د. هيكل، فيقول:" قيل إنَّه لما تمت بيعته صعد المنبر يخطب الناس فأرتج عليه، فقال:" أيها الناس، إن أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، فإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله"(٢٠٩).

وقيل خطب خطبة دينية عصماء، تبكي لها القلوب، وتعتبر لها النفوس، ليس فيها شيء من أمر السياسة، تدل على شدة إيمانه، يقول د. هيكل: قال عثمان:" أيها الناس إنكم في دار قلقة وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه.....واطلبوا الآخرة فإن الله ضرب لها مثلا بالذي هو خير، فقال عز وجل:«واضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِه نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصبح هَشيما تَذْرُوه الرِّيَاحُ وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً (٤٥) المال والبنون زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيا والباقيات الصَّالحات خَيرٌ عِنْدَ رَبِّك ثَوابا وخَيرٌ أَملاً(٢١٠) .

ويميل د. هيكل إلى الخطبة الأولى مستنداً على عدة أدلة وأسباب، يقول:" أثبت ابن سعد في الطبقات مقال عثمان حين أرتج عليه وذكر سنده.... فطبيعي أن

يشغل عثمان بما كان أيام الشورى عن تهيئة خطاب يلقيه على الناس إثر بيعته،... وقد أثبت الطبري وابن كثير أن أول تصرف كان لعثمان بعد بيعته أنه زاد في عطاء الناس على ما كان عليه أيام عمر، فكيف تتفق زيادة العطاء وخطبته كلها تزهيد في الدنيا وترغيب عن المتاع بها!" (٢١١).

ويذكر د. هيكل أن المؤرخين يجمعون على أن السنوات الست الأولى من خلافة عثمان رضي الله عنه كانت محل الرضا، وأنه لم يغير في سياسته الداخلية أو الخارجية فيقول:" لم ينقل أحداً إلى غير ولايته التي كان فيها حين استشهد عمر"(٢١٢)، ويقول:" وما كان عثمان ليغير شيئا من نظام الحكم الذي وضعه عمر حين دون الديوان وأقام القضاء ونظم المسالح ووضع بها الجند؛ وما كان له أن يخرج عن نظام الشورى الذي جرى عليه النبي (ﷺ) وتابعه عليه أبو بكر وعمر، لذلك سارت الأمور لأول عهده هادئة مستقرة، ورجع الناس إلى مواطنهم بعد أن بايعوه وكلهم الرجاء الصالح في أن تستقر الإمبراطورية الناشئة وأن تزداد على الأيام سعة وتزيد العرب رضا عن الحياة وتمسكاً بالدين الذي أعزهم وأعلى كلمتهم"(٢١٣).

ويوطد د. طه لسياسة عثمان بل لسياسة الدولة الإسلامية باستطراد طويل وإطناب في مباحث ثلاثة، منها قوله:" لم يكن نظام الحكم في الإسلام في ذلك العهد نظام حكم مطلق، ولا نظاماً ديمقراطيا على نحو ما عرف اليونان، ولا نظاماً ملكياً أو جمهورياً أو قيصرياً مقيداً على نحو ما عرف الرومان، وإنما كان نظاماً عربياً خالصاً بيَّن الإسلام له حدوده العامة من جهة، وحاول المسلمون أن يملئوا ما بين هذه الحدود من جهة أخرى"(٢١٤).

ثم يقيس نظام الحكم بالقرآن الكريم ، ولا أجد له مضرباً، ويغلب على الظن أنه أقحم هذا الكلام إقحاماً؛ فالقرآن معجز فلا وجه للمقارنة، ففكرة المقارنة هنا بها خطأ منهجي، ولن يفيد في إدراك المعنى، يقول د. طه:" إن القرآن ليس شعراً ولا

نثراً، وإنما هو قرآن له مذهبه وأساليبه الخاصة في التعبير والتصوير والأداء، فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع، وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما قد يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر"(٢١٥).

فإذا لم يكن القرآن نثراً، فلماذا أنزله الله على قوم عرفوا بالفصاحة والبيان واللغة؟، ولماذا تحدَّهم إذا لم يكن من لغتهم النثرية، وما مصدر إعجازه إذا خالف ما برِعوا فيه؟!.

ويرى د. طه أن نظام الحكم في الإسلام ائتلف من عدة عناصر، أولها: أنه لم يكن نظاماً سماوياً بل كان نظاما إنسانياً تأثر بالدين، قام على إقرار العدل وإيثار المعروف، وثانيها: أنه قام على الأرستقراطية التي لا تعتمد على مولد أو ثروة أو مكانة اجتماعية، وإنما تعتمد على الاتصال بالنبي(ﷺ) أيام حياته والإذعان لما كان يأمر به وينهى عنه في غير تردد ولا شيء يشبه التردد(٢١٦).

وبدأ الشقاق بين عثمان والصحابة حينما كلَّمه الناس أن يزيد في المسجد وشكوا ضيقَه، فاستشار عثمان أهل الرأي فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه، ولكن عثمان (ﷺ) أحدث من التطور في عمارته ما يتفق واتجاه ميوله، فأنكر صنيعه يومئذ جماعةٌ من المسلمين، لأنه أراد أن يخلع على مسجد النبي(ﷺ) هيبة السياسة لأنه كان مركز الحكم، فكانت الأوامر تصدر منه إلى الولاة الذين يقيمون في قصور دمشق والفسطاط والكوفة والبصرة، كذلك أنكروا عليه بعد أن جمع الناس على قراءة واحدة إحراقه كل المصاحف إلا مصحفه(٢١٧).

ويعتمد د. هيكل على الأسلوب الإنشائي الذي يحمل معنى الاستفهام الإنكاري حين يدافع بشدة وجلادة عن عثمان فيقول:" كيف لام قوم عثمان لعمارته مسجد المدينة على نحو ما صنع وهو إنما فعل بعد مشاورته أولى الرأي من أصحاب رسول الله؟!، وكيف لامه قوم على جمعه الناس على قراءة واحدة للقرآن وعلى حرقه

المصاحف التي تخالف هذه القراءة وهو لم يفعل ذلك إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله؟"(٢١٨).

ويصدر عثمان (ﷺ) ثلاثة كتب متتالية يضع فيها أسس سياسته الداخلية والخارجية، ودور كل مسؤول فيها، فـ " هذا كتاب صور به عثمان سياسته في الرعية في كتابه الذي أرسله إلى عمَّاله، يقول فيه:" أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، .....ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنُّوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي ينتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء"(٢١٩).

يقول د. هيكل بكل تأمُّل وتدبُّر عن سبب صدور هذا الكتاب من عثمان للعمَّال:" ليطمئن الناس إلى أنَّ ما ألفوا من عدل في عهد عمر لن يعبث به عابث..... هذا كتاب صوَّر به عثمان سياسته في الرعية وما يجب على عماله أن يأخذوها به، وهي سياسة كلها السداد والحكمة"(٢٢٠).

ولم يكتف د. طه بالتحليل على هذا الكتاب الذي أصدره عثمان إلى عمَّاله في الحرب بل يفصله تفصيلا وافياً ويقسمه إلى خصال أربعة، الأولى: أن يكون رعاة لا جباة، والثانية: رعاية العدل، والثالثة: العدلَ مع أهل الذمة، والرابعة: الوفاء مع العدو(٢٢١).

وتظهر ملامح سياسته الداخلية في كتابه الذي يصدره لعمال الخَراج ليبين لهم سياسته فيقول د. هيكل، كتب عثمان:" أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق..... لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم"(٢٢٢).

يرى د. طه أن هذا الكتاب " يمتاز بالإيجاز الرائع، يلُحُّ فيما ألحَّ فيه الكتاب الأول ويحرص على ما حرص عليه، ولكنه يؤدي ذلك في شَيء من القوة والشدة لا

نكاد نجدها في كتابه الأول"(٢٢٣).

ويؤكد عثمان على أهمية دور العامة في استقامة الحكم، فلم يعفهم من الواجبات الملقاة عليهم، فقال:" أما بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع؛ فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن. وقد قال رسول الله:" الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا"(٢٢٤).

يقول د. هيكل :" وهذه الكتب الثلاثة إلى الولاة وإلى عمال الخراج وإلى العامة تصف مجملاً من سياسة عثمان في إدارة الشئون الداخلية لبلاد الدولة كلها، ولكن عثمان لم يكن ليغيب عنه أن الإمبراطورية الناشئة لما تستقر إلى حال من الطمأنينة يستريح الخليفة إليه، وأن الفرس والروم لن تهدأ نفوسهم بعد الذي أصابهم في عهد عمر"(٢٢٥).

ويقول د. طه في هذه الكتب الثلاثة قولاً لا يختلف عن قول صاحبه:" وأقل ما توصف به هذه الكتب أنها تصور السياسة التي كان عثمان يريد أن يأخذ بها المسلمين والتي أخذهم بها صدراً من خلافته، فيما يقول المؤرخون، فمن حق هذه الكتب أن تروى، وأن نقف عندها وقفة ما، لنتبين إلى أي حد تمم عثمان ما رسم لنفسه فيها من خطة"(٢٢٦).

ولقد امتدت الفتوحات في عهد عثمان، واتخذ المسلمون قواعد حربية لحماية البلاد الإسلامية، فبعد مقتل عمر ﷺ، والمسلمون على حدود "أذربيجان"، أقاموا حيث كانوا ينتظرون أوامر عثمان،" فأصدر عثمان أمراً بمتابعة الغزو ففتح عمرو بن العاص مصر ثانيةً بعد فتحه الأول في عهد عمر رضي الله عنهم جميعاً(٢٢٧).

وولّى عثمانُ عبد الله بن سعد قيادة الجيوش في إفريقية، فتخطى عبد الله برقة وطرابلس، وبلغوا إفريقية[تونس] وكانت خاضعة لنفوذ الروم ففتحوها ومهدوا لانتشار دين الله فيها، فحسن إسلام أهل إفريقيا من بعد(٢٢٨).

يقول د. هيكل:" امتدت الإمبراطورية الإسلامية بفتح إفريقية فاشتملت كل البلاد التي تشاطئ البحر المتوسط من أنطاكية في شمال الشام، وفي أقصى الشرق من ذلك البحر إلى أقصى الغرب منه في شمال إفريقية"(٢٢٩).

ثم كانت الفترة الثانية من عهد عثمان: ذكروا أن " عثمان أبقى المغيرة بن شعبة على ولاية الكوفة سنة أربع وعشرين للهجرة تنفيذاً لوصية عمر (ألا يعزل الخليفة من بعده والياً من ولايته قبل انسلاخ عام من وفاته)"(٢٣٠).

وبدأت فترة العزل والتولية، فقد ولّى سعد بن أبي وقاص إمارة الكوفة خلفاً للمغيرة بن شعبة، ولم تبق ولايته على الكوفة غير سنة وولّى مكانه الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لأُمه، وكان متَّهماً بشرب الخمر، فتربصوا به حتى إذا أمكنتهم الفرصة شكوه إلى عثَمان لشربه الخمر فاستقدمه، وأقام عليه الحد وعزله، وولى سعيد بن العاص بن أمية مكانه، وهو قريب لعثمان قد تربَّى في حجره، وقد كان أبو موسى الأشعري والي البصرة حين وفاة عمر، فلما استخلف عثمان أقره عليها سنوات ثم عزله وولّى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال عثمان وكان ابن خمس وعشرين (٢٣١)، ومن ثم بدأ دبيب الشقاق يدب في هذه الإمبراطورية الناشئة، حتى كاد أن يهدد كيانها بالزوال وأشد خطراً.

ويرى د. طه أن وجه الحق" في عزل سعد أن بني أمية وآل أبي معيط كانوا يتعجلون الولاية ويحتالون في الوصول إليها،.... وآية ذلك فيما أظن أن عثمان حين عزل سعداً لم يول على الكوفة أحداً من كبار أصحاب النبي(ﷺ)..... وإنما أرسل إليهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولم يكن المسلمون يطمئنون إلى الوليد

بن عقبة؛ لأنه غش النبي(ﷺ) وكذب عليه، وكفر بعد إسلامه، وأنزل الله فيه قرآناً"(٢٣٢).

وهذه هي الفترة التي قضاها عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً خليفة على المسلمين في فترة تعج بالخلافات والمشاكل والفتن التي طال الحديث عنها في كتب التاريخ، والحق يقال: يجب أن نترفَّع عن الخوض في هذه الفئة المختارة، فالله تعالى أعلى وأعلم، لذلك تركت جزءا ليس بالسير فيما كتب الأديبان يخص الفتنة وقتل عثمان والروايات التي توافق وتخالف وتعترض وتقترب وغيرها.

فلقد عاصر ﷺ كل الخلافات وتشعَّبت أمامه كل الصعاب، ومع كل ذلك استمرت خلافته اثنتي عشرة سنة، بويع أول محرم سنة ١٤ هـ، وقُتِل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة من ذي الحجة سنة ست وثلاثين(٢٣٣).

٣.البعد الخارجي والاجتماعي:

لم يكد عثمان ﷺ يتولَّى أمر المسلمين حتى أنشبت الفتنة أظفارها، وألقت على كتفه أوزارها، وهبَّت بريح عاتية على رجل هو من أصدق الناس حياء وعطفاً وسخاء، جبل على المسالمة، لا تميل نفسه إلى القتل أو القوة أو الشدة.

يقول د. طه:" فلم تكد بيعة عثمان تتم حتى شاور المسلمين الذين حضروه في أمر عبيد الله هذا الذي ثأر لنفسه بنفسه من غير بينةٍ، وقتل رجلاً مسلماً وذميين بغير الحق دون أن يخوله السلطان قتلهما، فأما أهل البصيرة والفقه وفيهم علي فأشاروا بالقود؛ .. وقال قوم كثير من المسلمين: يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! وزعموا أن عمرو بن العاص قال لعثمان: قد أعفاك الله من هذه القضية؛ فقد حدث ما حدث وليس لك على المسلمين سلطان"(٢٣٤).

اختلفت الروايات في الحكم الذي أمضاه عثمان، ويرجح د. طه أنه " آثر العافية فأدى دية القتلى من ماله الخاص، وحقن دم عبيد الله بن عمر... وفي إمضائه الحكم على هذا النحو سياسة رشيدة لو نظر الناس إلى القضية نظرة سياسية خالصة"(٢٣٥).

وانفرد د. هيكل – بعدما عرض الرواية السابقة– برواية أخرى للطبري التي تجعل العفو عن عبيد الله كان من فعل " القماذيان بن الهرمزان"، بعد أن سلَّمه له عثمان(٢٣٦).

ويتفق الأديبان أن صنيع عثمان بن عفان في العفو وجعلها دِيَّة كان عين الحكمة، فهو وليُّ المؤمنين.

وينفرد د. هيكل بإضافة تنمُّ عن حسّه السياسي، فيقول:" لم يأمر عثمانُ بتحقيق لأنه إذا أثبت مؤامرة الهرمزانَ وجفينة وفيروز أثار ثائرة الفرس والنصارى"(٢٣٧).

في مثل هذه المواقف تظهر فراسة عثمان وإنسانيته، وما تحمله خلافته الجديدة التي تتميز بالسخاء والعطاء بلا محاسبة أو قسوة أو غلظة، وعُرِفتْ بالرفق واللين دون شدة أو بطش كما كان في سابقه؛ كما أن هذا التسامح والعفو في قضية ابن الهرمزان أبقى الفتنة نائمة، فلم يكن من الخير أن تستيقظ في أوَّل خلافته.

واتفق الأديبان أن عثمان وإن كان لزم سيرة عمر في السنوات الأولى في الجانب السياسي، إلا أنه خالفه في الجانب الاجتماعي منذ أول ولايته.

يقول د. طه:" فقد زاد الناس في أعطياتهم مائة مائة، ولم يكن قد طرأ ما يوجب هذه الزيادة بين موت عمر واستخلافه، أي في أيام لا تكاد تبلغ الأسبوع، فقد أراد عثمان بهذه الزيادة أن يستهل خلافته بالتوسعة على الناس، ولست أدري أكان

عثمان خلقاً أن يفعل هذا وأن يحمل بيت المال هذه النفقات يقتطعها من الإنفاق على المرافق العامة، دون أن يطرأ على الناس ما يزيد حاجتهم إلى رفع العطاء، أو دون أن يطرأ على بيت المال من الدخل ما يدعو الخليفة إلى أن يوسع على الناس من فضوله، وأقل ما توصف به هذه الزيادة أن فيها شيئاً ولو يسيراً من الانحراف عن سياسة عمر في الإبقاء على بيت المال"(٢٣٨).

أرى أن د. طه تحامل على عثمان (ﷺ) في هذا القرار؛ لأن المؤرخين لم يحدثونا بضائقة مالية حلَّت ببيت مال المسلمين حينما زاد عثمان العطاء، كما لا يغيب أن عثمان كان لديه من الأموال الخاصة ما تجعله يسد هذه الضائقة إذا حدثت، وأن غنائم الفتوحات كانت كثيرة في تلك الفترة، فقد توفى عمر والجيوش في الفتوحات والثغور، وما بالنا نجرِد خليفة المسلمين من التفكير والتصرف وهو وليُّهم!.

ويؤكد ذلك د. هيكل فيقول:" وقد كان للمسلمين في رقعة الإمبراطورية الفسيحة لأول عهد عثمان ما يكفل لمن شاء منهم ما شاء من رخاء ورفه عيش، وقد منعهم عمر من المتاع بهذا الرخاء وطال بهم هذا المنع فملَّت نفوسهم هذه الشدة ولم يبق لها ما يسوغها"(٢٣٩).

ويرى د. هيكل وهو رجل سياسي عاش الثراء والدعة أن هذه الزيادة هي خطوة في الدفاع عن الإمبراطورية الإسلامية، وعامل من عوامل الإنسانية التي تحمل الرفق واللين دون ضعف أو تهاون، فيقول:" يعلم عثمان أن الجند هم عماد النظام وحماة الإسلام والمدافعون عن الإمبراطورية، فإذا استطاع أن يتألف الجمهور والجند جميعاً استبشر الناس بعهده واطمأنوا له، هذا على أن يستقر في نفوسهم أنه ليس أقل من عمر حرصاً على الدفاع عن الدولة وما فتحت، وعلى إقامة العدل بين الناس عدلاً يزيدهم أمناً على نفسهم وأموالهم،..... وهو يعلم أن الولاة في البلاد المفتوحة هم أعوانه الأولون، فإذا أنسوا إليه حفظوا النظام وبثوا السكينة في قلوب

الناس في أقطار الأرض، فكيف يبلغ هذا كله في رفق ولين يتفقان مع طبعه ثم لا يشوبهما ضعف يشوه جمالهما، أو يدعو الذين لم يستريحوا إلى بيعته إلى تمرد أو خروج"(٢٤٠).

لم يقف سخاؤه (ﷺ) عند هذا الحد، يقول د. طه:" لم تكد الأيام تتقدم بخلافته حتى أخذ يصل الأعلام من أصحاب النبي(ﷺ) بالصلات فوق ما كان لهم من العطاء"(٢٤١).

ويتفق د. هيكل مع صاحبه فيقول:" أفسح لكبار المسلمين الذين أقاموا بالمدينة في حريتهم وأتاح لهم بذلك أن يستمتعوا بأنعم الحياة على نحو كان عمر يأباه عليهم"(٢٤٢).

ويذكر د. طه أن عثمان ﷺ لم يكتف بهذه الزيادات :" وإنما وفد الأمصار لأول مرة، أي دعا الأمصار إلى أن توفد إليه وفودها للعطاء والإجازة، فكان هذا توسعاً في الإنفاق لم يكن عمر يعمد إليه أو يفكر فيه"(٢٤٣).

ويعلل د. طه أن هذا العطاء يحمل جانباً إيجابياً وآخر سلبياً، فيقول:" وما من شك في أن هذا إمعان في البر والرفق، ولكن ما من شك أيضاً أن في هذا إطماعاً للناس في الأموال العامة، وإغراء لكثير منهم بالتزيد في الانتفاع بهذه الأموال"(٢٤٤).

وفي موضع آخر يشير د. طه إلى أن هذه التوسعة تتضمن جانبين: جانب الخير، وجانب الشر، فيقول:" قد يكون فيها الخير، ولكنها لا تخلو من بعض ما يخاف على السياسة والأخلاق جميعاً، فمن الذي يمنع النقاد من أن يقولوا للناس إن هذه التوسعة نوعٌ من أنواع الإذاعة يتحبب بها الإمام إلى رعيته ليكتسب قلوبهم بهذا السخاء؟"(٢٤٥).

ويراجع نفسه د. طه فيقول:" والشيء المحقق هو أن عثمان لم ير في سياسته تلك مخالفة خطيرة لسيرة الشيخين؛ فهو لم يتعمد الجور أو المحاباة، وإنما وسَّع

على الناس من أموالهم، ورأى في بيت المال غنى فآثر الناس به في الادخار"(٢٤٦).

ويدافع د.هيكل عن عاطفة العطاء والسخاء عند عثمان مما يؤكد انعكاس حياته وأثرها على شخصية المترجم، فيقول:" كان عثمان ليناً في غير ضعف، عادلاً عدل عمر من غير أن يكون باطشاً بطشه أو قاسياً قسوته، فقد رأيت أنه استفتح عهده بأن زاد في عطاء الناس ووسَّع عليهم، فزاد في طمأنينتهم ورضاهم"(٢٤٧).

ويقول د. هيكل في موضع آخر مؤكداً ذلك :" إن عثمان كان لشدة حيائه كثير العطاء تألفاً للناس"(٢٤٨).

ويرى د. طه أن سياسة عمر كانت تصلح لضبط هذه الرعية وتدبير أمرها وحملها على الجادة أكثر من سياسة عثمان(٢٤٩).

ويرى د. هيكل أن ضعف سياسة عثمان تعود إلى شيخوخته وإلى دماثته ورقة خلقه بعد اضطلاعه بالخلافة مما جعلته يواجه مواقف تختلف عن موقف أبي بكر وعمر، "ويحتاج في مواجهته إلى لون جديد من السياسة وُفِّقَ عثمان إليها توفيقاً ظاهراً أول الأمر، ثم أعجزه تقدم السن وأعجزته الأحداثَ فلم يحسن تدبيره من بعد"(٢٥٠).

ولمَّا شعر عثمان بأن أمور الناس قد تغيرت، وبأن الفتنة قد أخذت تظهر، اقترح أو اقترح عليه مشيروه زيادةً أخرى للناس لم تكن متوقعة، فرح بها الناس وابتهجوا ابتهاجاً عظيماً، ظنَّ أنه يصلح أمورهم، ولكنه أدى إلى نتائج عكسية، وهو" أن ينقل إلى الناس فيئهم حيث قاموا من بلاد العرب... وقد دهش أهل المدينة حين سمعوا هذا الاقتراح من عثمان، فقالوا له: كيف تنقل إلينا ما أفاء الله علينا من الأرض؟ قال عثمان: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز، ففرحوا وفتح الله عليهم أمراً لم يكن في حسابهم،..... وقد كتب عثمان بذلك في الآفاق، ففتح على الناس

باباً عظيماً كان له أبعد الأثر في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية جميعاً"[٢٥١].

ويؤكد د. طه أن ذلك أحدث تغييرا في الدولة الإسلامية، حيث زاد المال، وظهرت الملكيات الضخمة، وكثر النشاط المالي من بيع وشراء وتجارة، ووجدت الإقطاعات الكبيرة، والضياع الواسعة وقام فيها العاملون من الرقيق والموالي والأحرار، فظهرت في الإسلام طبقة جديدة هي البلوتقراطية التي تمتاز إلى أرستقراطيتها التي تأتيها من المولد بكثرة المال وضخامة الثراء وكثرة الأتباع، ولم يمض وقت طويل حتى استحال الحجاز إلى جنة من أجمل جنات الأرض، ونشأ بعد ذلك أن جلبت الحضارة إلى الحجاز فظهرت الفنون والترف والغناء والرقص والشعر الذي لا يصور جداً ولا نشاطاً وإنما يصور بطالة وفراغاً وتهالكاً من أجل ذلك على اللذة، وعاشت طبقة أخرى من العرب البادين المحرومين لا تملك قط أرضاً، واشترى الأغنياء أراضي الفقراء، فزاد ثراء الغني، وزادت حاجة الفقير، ولم يخطر لعثمان رحمه الله حين فكر في هذا الاقتراح شيء من هذه النتائج البعيدة[٢٥٢]، فظهرت الفتنة، وبدت المعارضات من كبار الصحابة، وتغيرت الدولة والنفوس التي انتهت بقتله (ﷺ)، ولم يكن يريد إلا الإصلاح ما استطاع.

وبالرغم من أهمية هذه القضية، وهي قضية العطاء والتوسعة التي صنعها عثمان (ﷺ)، وما كان لها من أثر في حياة الناس سياسياً واجتماعياً واقتصادياً إلا أن الدكتور هيكل لم يقف عندها طويلا ولم يذكر لها دليلا أو رواية صحيحة كانت أو موضوعة كما هو الحال في عرض قضاياه السابقة، وكأنه أقرَّ – بعدما طالع الروايات– أن عثمان فعل ذلك، وأن ما قام به خليفة المسلمين كان هو الصواب، فانصرف عن تلك الروايات، وإن كانت هذه القضية تحتاج إلى كبير تفصيل من دارسي التاريخ ومتخصصيه.

ثانياً: معالم البناء الفني للترجمة الغيرية عند الأديبين:

١.افتتاحية الترجمة:

افتتح الدكتور طه حسين كتابه " الفتنة الكبرى.. عثمان جـ١، الذي كتبه سنة ١٩٤٧م" بمقدمة بدون عنوان، استغرقت تسع صفحات تحدث فيها عن الإنسانية والعدل السياسي والاجتماع، وختمها بالحديث عن أسباب قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ)، معلناً حياديته، ومعترفاً بنظرته الموضوعية المجردة الخالية من العاطفة الدينية، كمؤرخ تاريخي يدرس شخصية كأي شخصية، فيقول عن منهجه النقدي لدراسة فترة عثمان:" وأنا أريد أن أنظر إلى القضية نظرة خالصة مجردة، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى، ولا تتأثر بالإيمان ولا بالدين، وإنما هي نظرة المؤرخ الذي يجرد نفسه تجريداً كاملاً من النزعات والعواطف والأهواء، مهما تختلف مظاهرها ومصادرها وغاياتها"(٢٥٣).

ويذكر السبب وراء ترجمته لشخصية عثمان بن عفان، وهو سعيه لمعرفة الحقيقة التي خلّفتْ قضيةَ الفتنة الكبرى التي نشبت في عصره ﷺ، فيقول: " هذا حديث أريد أن أخلصه للحق ما وسعى إخلاصه للحق وحده، وأن أتحرى فيه الصواب ما استطعت إلى تحرى الصواب سبيلا، وأنْ أحمل نفسي فيه على الإنصاف لا أحيد عنه ولا أمالئ فيه حزباً من أحزاب المسلمين على حزب"(٢٥٤).

ثم يدخل في صلب الدراسة عن عثمان فيبدأ حديثه بلفظ الماضي فيقول:" كانت القاعدة الأساسية التي أقام أبو بكر وعمر عليها نظام حكمهما، هي أن يسيرا سيرة النبي(ﷺ) في المسلمين"(٢٥٥).

أما د. هيكل في افتتاحيته فلم يتناول قضية الفتنة مباشرة، بل مهَّد لها بفصل، جعل عنوانه يحمل اسم" الفصل الأول: حديث الشورى وبيعة عثمان"، سرد في أوَّله ما قام به النبي (ﷺ) وأبو بكر(ﷺ) في سطور، مفتتحاً إيَّاه أيضاً بلفظ الماضي

كصاحبه، فقال :"كانت شبه الجزيرة العربية، أول ما قام النبي(ﷺ) داعياً إلى الإسلام، مقسمة..." [٢٥٦]، ثم تحدث عن عمر (ﷺ) وأطال فيه الحديث عن المؤامرة والأسباب التي أدَّت إلى قتله (ﷺ)، فيقول :"ودلالتها أن بعض الأمم التي فتحها المسلمون في عهد عمر لم تكن راضية عن المصير الذي انتهت إليه"[٢٥٧].

ثم تحدث عن بذور الفتنة التي أرادها أبو سفيان بن أمية- فقد كان متعصباً لقومه أشد التعصب- بعد بيعة أبي بكر الصديق، والتنافس بين بني هاشم وبني أمية منذ الجاهلية، وما حدث في مبايعة عمر والستة الذين جعل فيهم الشورى، وأفرد د. هيكل لكل شخصية من الشخصيات الستة ترجمة مختصرة تحدث عن أنسابهم وصلتهم بالنبي(ﷺ) وأسبقيتهم إلى الإسلام، وكان الجميع على يقين أن علياً وعثمان هما المتنافسان الأساسيان، ويذكر من الأسباب التي كانت تدفع العرب على ألا تكون الخلافة في بني هاشم ألا يجتمع لهم سلطانان: "سلطان الدين وسلطان الدنيا" [٢٥٨] ؛فأسفرت المشاورات عن كثرة تشبه الإجماع في صف عثمان[٢٥٩]، فقَبِل الناس خلافة عثمان مقابلة رضا واطمئنان، واختلفت الرواية في موقف علي بن أبي طالب من مبايعة عثمان فذكر الطبري روايتين تدلان على أن اختيار عثمان ترك في نفس عليٍ أثراً عميقاً، إلا أنه بايعه[٢٦٠]، واستقرت البيعة لعثمان بن عفان ﷺ)[٢٦١].

٢.اللغة والأسلوب:

تزيَّنت اللغة بالعديد من الخصائص التركيبية ذات العبارات المنسوجة، والجمل المرصوفة، وأدوات شرط وحوار وغيرها، وتميز الأسلوب بكثير من الألوان الحجاجية ذات البراهين والأدلة، مع ما يحمله من أدلة عقلية ونقلية، وغيرها من السمات التي تكسب الأسلوب جمالاً وثراء.

تنوَّعت أساليب الترجمة الغيرية عند الكاتبين، فاختلفت في هيكلها الهندسي وشكلها البنائي، وتناسقت وتناسبت في مضمونها الموضوعي ومحتواها السردي،

فكان الاستدلال بالقرآن الكريم منيرا لصفحات ترجمتهما، ومنبراً أعلنا من فوقه آراءهما ليعطي كلامهما مصداقية أو دلالة على ما يريدان صياغته أو البرهنة له.

ولا يغيب أن الاستشهاد بالقرآن الكريم لدى الأديبين كثيرٌ، وإن كنت أرى – حسب الحصر – أن استدلال د. طه به أكثر من د. هيكل، وذلك يعكس أثر شخصية د. طه وحفظه للقرآن الكريم، واستناده على القرآن في سياق أدلته أو شبهه.

فكانت أوَّل آية أوردها د. هيكل من القرآن الكريم الآية التي اقتبسها عبد الرحمن بن عوف حين تلكَّأ عليٌّ عن بيعة عثمان كما جاء في رواية الطبري، فقال عبد الرحمن لعلي،:« فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه ومَنْ أَوْفَى بِما عَاهَدَ عَلَيهُ الله فَسَيؤْتِيه أَجْراً عَظِيما»(٢٦٢) .

وكانت آخر آية استشهد بها د. هيكل في كتابه، الآية التي اقتبسها الثوَّار في رسالتهم التي أرسلوها لعثمان في حصارهم له، جاء فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فاعلم أن « الله لا يُغَيِّرُ ما بقَوْم حتَّى يُغَيِّروا ما بأَنْفُسهم....» (٢٦٣)، وهي نصوص جاءت في الروايات التي أوردها د. هيكل في أثناء كتابه.

أما د. طه فقد أنار كتابه باقتباساته العديدة التي تدل على اختيارات مقصودة تعبر عن أديب موهوب، فكانت أول آية أوردها في كتابه استدل بها على أن الإسلام جاء بقضيتين، أولاهما التوحيد، وثانيتهما المساواة بين الناس، قال تعالى: «يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيم خَبِيرٌ» (٢٦٤) .

ومما انفرد به د. طه دون صاحبه، هو مبالغته في الاستشهادات، فقد بالغ في الاستشهاد بالعديد من الآيات لقضيةٍ واحدةٍ، فقد جاء بأربع اقتباسات من القرآن الكريم في صفحة واحدة، ليُدلِّل أن الناس تقول: إن عثمان عطَّل حدًّا من حدود الله،

وخالف نصوص القرآن حين عفا عن عبيد الله ولم يقتص منه، ومما يلفت النظر في هذه الآيات أنها جاءت مضبوطة بالشكل، مذكور اسم السورة فيها [٢٦٥].

وكانت آخر الآيات التي ساقها – في النسخة التي بين يدي–، آيات وردت في نهاية كتابه في" رسالة عثمان إلى أهل الموسم، مستنجداً، فقد ذكر عثمان (ﷺ) في رسالته عشر اقتباسات من القرآن الكريم[٢٦٦].

وختم كتابه بالاستغفار والإنابة، والتزاحم بالاقتباس من الذكر الحكيم في شيء من التناص التضميني ما يخدم هذا المعنى، فيقول:" أما بعد، فإني لا أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم[٢٦٧]، وإن عاقبت أقواما فما أبتغي بذلك إلا الخير، وإني أتوب إلى الله عز وجل من كل عمل عملته وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو[٢٦٨]، إن رحمة ربي وسعت كل شيء[٢٦٩]، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون[٢٧٠]، وإنه يقبل التوبة عن عبادته ويعفو عن السيئات[٢٧١]..... الخ[٢٧٢].

وفي مثل هذه التراجم التي تتعلق بشخصيات إسلامية من الرعيل الأول، والتي حملت من أعباء الدولة الإسلامية الكثير، وحدثت في عهدها خلافات دينية وسياسية؛ فلا يمكن أن تخلو ترجمتها من الاستشهاد بالأحاديث والروايات الصحيحة أو التي وضعها أصحاب السير والمؤرخون لخدمة مذهبهم أو حزبهم السياسي آنذاك، لذلك نجد د. طه دائما يكثر التشكيك والريبة في بعض الأحاديث، فبعدما يسوق قول النبي(ﷺ)" إن الملائكة لتستحي من عمر" وحديث يوم الحديبية لما اختار النبي(ﷺ) عثمان سفيراً إلى قريش، وبايع النبي(ﷺ) عثمان بإحدى يديه، ثم قال د. طه :" وقد روى المحدثون وأصحاب السير أحاديث كثيرة، منها الصحيح الظاهر الصحة، ومنها الموضوع الذي يظهر وضعه، ومنها ما يتعرض لشك قليل أو كثير، وكلها تُحدّث بأن عثمان كان عند النبي(ﷺ) محبباً إلى نفسه مقرباً إليه بين المقربين إليه مَن خاصة أصحابه"[٢٧٣].

ثم يقول د. طه في موضع آخر:" قد تحدث عبد الله بن عمر رحمه الله بأن المسلمين كانوا في أيام النبي(ﷺ) يقدمون أبا بكرٍ وعمر وعثمان، ثم لا يفاضلون بين أصحاب رسول الله؛ فهؤلاء النفر الثلاثة -إن صحَّ هذا الحديثُ- كانوا في طليعة أصحاب النبي(ﷺ) في أيام النبي(ﷺ) نفسه"(٢٧٤).

فلو نظرنا إلى قوله: " ومنها ما يتعرض لشك قليل أو كثير"، وقوله:" إن صح هذا الحديث "، لتبيَّن ما تحمله نفس د. طه من التشكيك والارتياب، وإن كانت الأحاديث التي قالت بفضل الثلاثة وبخصوصيتهم عند النبي(ﷺ) كثيرة، وواردة في الصحيحين(٢٧٥).

ويقول د. طه في شأن الروايات أيضاً لمَّا تناولت الوليد بن عقبة:" يقول الرواة: لم يكن الوليد شديد التمسك بدينه؛ فقد يقال إنه شرب الخمر، وإن عثمان أقام عليه الحد، قد يثبت هذا وقد لا يثبت"(٢٧٦).

أما د. هيكل فلقد ساق الأحاديث دون شك أو إصرار على ريبة في نصه، أما الروايات فله معها وقفات مثل صاحبه، يقول مثلا في إسلام عثمان :" هذه روايات قيلت في إسلام عثمان، لك أن تأخذ منها ما تشاء وأن تدع ما تشاء"(٢٧٧).

ومن استشهاده بالحديث، ما أورده حينما تحدَّث عن الستة أصحاب الشورى، فقد خصَّ كل واحد منهم بموقف أو حديث مع النبي(ﷺ) يقول قال الرسول في الزبير بن العوام:" إن لكل نبي حواريا، وحواريي الزبير بن العوام"(٢٧٨)، أما عبد الرحمن بن عوف، فقد قال فيه رسول الله:" أمين في الأرض أمين في السماء"(٢٧٩). ولعثمان ﷺ أحاديث كثيرة، منها قوله صلَّى الله عليه وسلَّم:" أَصْدَقُ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ"(٢٨٠).

وكذلك يفوق د. طه صاحبه بكثرة الاستشهاد بالحديث النبوي في كتابه، بكثرة تكاد تكون ملحوظة دون حصر منذ أول الاطلاع كمثيلتها في القرآن الكريم.

واستشهد الأديبان بالشعر على استحياء وإن فاق د. طه صاحبه أيضا في هذا الباب، فقد أورد د. طه قول القائل في رثاء عمر بن الخطاب[٢٨١]:

جَزَى الله خَيْرًا من إمام وباركت ... يدُ الله في ذَاكَ الأَديمِ الممزَّقِ

فَمن يجر أَو يركب جناحي نَعامةٍ ... لِيدرِكَ ما أَدْرَكْتَ بالأَمسِ يسبقِ

قَضَيتَ أُمورا ثُمَّ غَادرتَ بعدَها ... بوائقَ في أَكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ

وأورد د. طه أشعاراً أخرى في غير موضع، منها بيت قاله أصحاب الرِّدَّة بعد موت النبي[٢٨٢] (ﷺ):

أَطْعنا رسول الله ما كَانَ بينَنا ... فَيا لعبَادَ الله ما لأبي بَكْرِ

وأورد خمسة أبيات لزياد بن لبيد البياضي[٢٨٣]، ينكر فيها عفو عثمان وعدم قصاصه ويلاحق بها عبيد الله بن عمر[٢٨٤]، وأورد خمسة أبيات قالها الحطيئة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة، حين صلّى بالناس الصبح ثلاثا أو أربعاً ثم التفت إليهم وقال: إن شئتم زدناكم، وكان معروفاً بشرب الخمر والسُّكر. وينكر د. طه هذه الأبيات ويرى أنها قصة مخترعة، ويقول: هذا الشعر لم يقله الحطيئة بل قال شعراً آخر يمدح به الوليد، ويسوق أربعة مقطوعات شعرية مختلفة الرَّوِي، اثنتين للحطيئة واثنتين من أقوال خصوم الوليد بن عقبة، بلغت هذه المقطوعات اثنين وعشرين بيتاً[٢٨٥]، وغيرها من المواضع التي جاء فيها الشعر ليعضد حجته ويقوي موقفه[٢٨٦].

وينقل د. هيكل بعض الأشعار التي أوردها الرواة ليستدل بها على قضاياه، فيقول لما بويع أبو بكر ظهرت العصبية القبلية من أبي سفيان بن أمية، وروي أنه أقبل بعد اجتماع البيعة لأبي بكر، وهو يقول لعليّ والعبَّاس[٢٨٧]:

ولا يُقيمُ علَى ضَيْمٍ يُرادُ به ... إلا الأَذَلانِ عيرُ الحي والوتدُ

ويقول: واختلفت الروايات في موقف أبي سفيان هل حسن إسلامه أو كان

كهفاً للمنافقين، فإذا رأى الروم ظهرت على جيوش الإسلام قال: إيه بني الأصفر! وإذا كشفهم المسلمون تمثل بقول النعمان بن امرئ القيس بن أوس- أحد ملوك الحيرة(٢٨٨):

وبَنُو الأَصفَرِ المُلُوكُ مُلُوكُ الرُّ ... وم لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ

وساق بيتاً آخر في زواج عثمان من رقية رضي الله عنهما، فقال، كان يقال(٢٨٩):

أَحسَنَ زَوجٍ رآه إنْسان ... رقَيَّةُ وزَوجها عثْمان

وذكر بيتاً في موضع آخر في شقاق بين أهل الكوفة وسلمان بن ربيعة على الغنيمة بعد انتصارهم على الروم بقيادته(٢٩٠)، ثم ذكر الوقعة مرة ثانية وساق لها ثلاثة أبيات مضبوطة بالشكل، وقال هي لشاعر الكوفة أوس بن مغراء(٢٩١)، ولا توجد شواهد شعرية أخرى في كتابه.

تنوَّعت الأساليب الإنشائية بين الاستفهام والدعاء والشرط وغيرها، مما يؤكد بحثهما وتحريهما عن الحقيقة، فليست القضية عندهما قائمة على السرد والنقل والخبر فقط، بل يحاولان الوصول إلى شيء من هذه الحقيقة الغائبة.

ويجري د. طه استفهاماً عجيباً حول حقيقة السيرة النبوية فيقول :" هل كانت هذه السيرة التي سارها النبي(ﷺ)، واجتهد صاحباه في أن يسيراها ما استطاعا إلى ذلك سبيلا، ملائمة لما فطر الناس عليه من الأثرة والطمع والحرص على المنافع العاجلة؟ وهل كانت هذه السيرة قادرة على أن تبقى حتى تغير من طباع الناس فترقى بهم إلى المثل العليا التي دعا إليها النبي(ﷺ) وصاحباه؟"(٢٩٢).

ويطرح د. طه أسلوباً إنشائياً آخر يجمع بين الشرط والاستفهام والتعجب، فيقول :"ومثل آخر يرويه المؤرخون، وما ندري أنقف منه موقف الإعجاب أم نقف منه موقف العجب؛ فقد قال عثمان لخصومه حين اشتد عليه الحصار:" إن رأيتم في

كتاب أن تضعوا رجلي في القيد فافعلوا"، أقال هذا معتباً لهم نازلاً عند حكم الله في كتابه؟ وإذن فأين هذا الحكم الذي يبيح للمسلمين أن يضعوا رجلي إمامهم في القيد حين يخطئ أو حين ينحرف عن الجادة عن عمد لأن القرآن لم يعرض لشيء من هذا؟"(٢٩٣).

ويستفهم ويجيب عن استفهامه، فيقول:" متى عرف العالم وضع الدساتير؟".... ظاهرة حديثة لم يكد العالم يعرفها إلا في عصور متأخرة جداً(٢٩٤).

وأختصر إجابتي فأقول :" ألا يكفي أن يكون الوحي دستوراً؟؛ فقد وضع الله في القرآن الكريم والسنة النبوية كل الأنظمة السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها مما يحتاج إليه الناس، قال تعالى في شأن القرآن: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»(٢٩٥)، وقوله تعالى في شأن السنة: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»(٢٩٦).

ولقد عرض د. طه فصلاً كاملاً تتوالى فيه الاستفهامات، وهو الفصل الذي يحمل الرقم (٣٠)، عبارة عن أسئلة فقط تحتاج إلى أجوبة، أكثر من تسعة عشر استفهاماً، أهمها قوله:" كيف ولماذا أبطأ عمَّال عثمان عن نصره حتى أتيح للثائرين أن يحاصروه فيطيلوا حصاره وأن يقتلوه بعد ذلك؟"(٢٩٧).

وكثرة الاستفهامات التي تحمل معنى التعجب ظاهرةٌ كانت في أسلوب الأديبين، فمنها عند د. هيكل، يقول في معرض دفاعه عن عثمان (ﷺ):

-"كيف لام قوم عثمان لعمارته مسجد المدينة على نحو ما صنع وهو إنما فعل بعد مشاورته أولي الرأي من أصحاب رسول الله؟

-"وكيف لامه قوم على جمعه الناس على قراءة واحدة للقرآن وعلى حرقه المصاحف التي تخالف هذه القراءة وهو لم يفعل ذلك إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله؟

-وما بال هؤلاء الناس لم يكونوا يلومون عمر بن الخطاب وقد كان يجتهد بالرأي

في كثير من الشؤون وكان يخالفه في اجتهاده من يخالفه؟

– أم تراهم استلانوا عثمان فاستضعفوه فأنكروا عليه ما لم يكونوا ينكرون على عمر لبأسه وشدَّته؟

– أم تراهم رأوا عمر يعيش عيشهم، قاسياً بنفسه، ناسياً إياها، متجرداً لله، فلم يكن لأحد أن يؤاخذه بشيء إيماناً بأنه يصنع ما يصنع عن بينة ويقين؟

–ثم رأوا عثمان في خفض من العيش لا يستطيع أكثرهم أن يبلغه، فنفسوا عليه، فكان لومهم وتثريبهم مظهر هذه النفاسة؟" (٢٩٨).

كما أكثر الأديبان من فعل الشرط " مهما" فقد جاءت عند د. طه أكثر من عشر مرات، منها قوله:" ومهما يكن من شيء فقد كانت رعية عثمان هي رعية عمر..." (٢٩٩)، وقوله:" ومهما يكن من شيء فقد عزل الوليد....." (٣٠٠)، وقوله:" ومهما يكن من ذلك فقد ذهب أبو ذر إلى الشام..." (٣٠١).

ولم يخل أسلوب د. هيكل من فعل الشرط " مهما" وإن قلَّ عن صاحبه، منها قوله:" ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في التفاصيل فالروايات كلها تنتهي إلى أن أذربيجان ثارت...." (٣٠٢)، وقوله:" مهما يكن من شيء فإن التطور الذي حدث في بلاد العرب منذ عهد النبي(ﷺ) في الناحية الفكرية وفي الناحية الاقتصادية كان عظيم الأثر.."(٣٠٣).

ومما هو ملاحظ في استفهامات الأديبين الإطالة وتعدد الاستفهامات في موضع واحد حول فكرة واحدة، وهذا يدلُّ على الشك وتعدد وجهات النظر، واحتمالية تعدد الإجابات.

كما لم تخل الترجمة من لغة التردد وعبارات الشك، وربما يرجع ذلك لتعدد الروايات واختلاف أصحاب السير والمؤرخين في نصوصهم التي وردت عن عثمان(رضي الله عنه)، فمنذ الصفحات الأولى لا تخلو عبارات د. طه من الشك والتردد، تجده

يقول:" وأكاد أعتقد أن الخلافة كما فهمها أبو بكر وعمر إنما كانت تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة، ولكنها لم تنته إلى غايتها، ولم يكن من الممكن أن تنتهي إلى غايتها"(٣٠٤).

ويقول أيضاً:" وأكبر الظن أن عبد الله بن سبأ – إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً– إنما قال ما قال ودعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف"(٣٠٥).

وقوله:" ولسنا نعرف كيف بدأت ثورة الزبير"(٣٠٦). وقوله:" ويخيَّل إليَّ أن المسلمين رضوا بخلافة عثمان ست سنين، ثم احتملوها أربع سنين، فلما جاوز عثمان بخلافته الأعوام العشرة جعل المسلمون يضيقون به ويستطيلون خلافته"(٣٠٧).

فقوله:(أكاد أعتقد – وأكبر الظن– وإن كان كل ما يروى عنه صحيحاً– ولسنا نعرف – ويخيل إليَّ– ولست أدري)، عبارات تحمل معنى الشك والتردد.

ومن أسلوب التأكيد عند د. طه قوله :" ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن، ولكني أقطع بأن خطره، إن كان له خطر، ليس ذا شأن"(٣٠٨).

وقوله :" وأكاد أقطع بأن علياً لم يتردد "(٣٠٩)، وقوله:" الشيء المحقق هو أن عثمان لم يدهن في دينه"(٣١٠)، وقوله:" والشيء الذي ليس فيه شك هو أن عثمان ولّى الوليد على الكوفة بعد أن عزل سعد"(٣١١)، وقوله عن الثوَّار :" وأكاد أقطع بأن قد كان لهم من أهل المدينة أنفسهم أعوان وأنصار دعوهم وشجعوهم"(٣١٢).

ولم يخل أسلوب د. هيكل من بعض العبارات التي توحي بالشك والتردد ولكنه أقل من صاحبه، كقوله:" وأيًّا ما صح من هذه الأسباب"(٣١٣)، وقوله:" أيًّا ما يكون الأمر ..... وأكبر الظن أنه لم يكن بعد قد رسم عثمان سياسة واضحة الحدود ....." (٣١٤) ، وقوله:" أيًّا ما يكون الأمر فقد أرسل روم الإسكندرية إلى الإمبراطور

قنسطانزConstans الثاني يسألونه أن يخلصهم من حكم المسلمين"(٣١٥).

ومن الملاحظ في كتابات الأديبين – مع ثقافتهم الغربية التي اكتسباها– أن نصوصهما خلت تماما من الألفاظ المكتوبة باللغة الأجنبية غير هذه اللفظة السابقة، مما يدل على شدة انتمائهما لعروبتهما وإسلاميتهما.

ومن أساليب التوكيد عند د. هيكل قوله:" يجمع المؤرخون على أن مشاورات عبد الرحمن أسفرت عن كثرة تشبه الإجماع في صف عثمان"(٣١٦)، وقوله :" لكن ثمة أمرين لا ريبة عندي في صحتهما"(٣١٧)، وقوله:" فأما الذي لا خلاف عليه...."(٣١٨)، وقوله:" وتجمع الروايات على أنه لم يقتل حين ....." (٣١٩) .

–وينفرد د. طه بالإكثار من الألفاظ المعاصرة والكلمات الدخيلة والعبارات الحديثة، وهذا أثر من آثار الثقافة الغربية، وإن كنت أقطع أنها لا تغيب عن د. هيكل ولكنه آثر الألفاظ العربية، ولم يتطرَّق إلى ما تطرَّق له د. طه.

فقد أورد د. طه لفظة الاشتراكية والشيوعية فقال:" لم يكن عمر صاحب اشتراكية ولا شيوعية؛ لأنه أقرَّ الملك كما أقره النبي(ﷺ) والقرآن"(٣٢٠).

وكلمة " الديمقراطية" التي وردت غير مرة، وأطال في شرحها وتفصيلها في الحكم اليوناني والروماني بصورة غير مقبولة في ترجمة تاريخية(٣٢١)، منها قوله عن عهد عمر:" أذكر طموح الديمقراطية في هذا العصر وقصورها عن تحقيق ما تطمح إليه"(٣٢٢).

وكلمة " تيوقراطية"، التي جاءت في قوله عن حكم الدولة الإسلامية منذ عهد النبيﷺ حتى استخلف عثمانﷺ، قال:" إن نظام الحكم في هذا العهد القصير، قد كان نظاماً تيوقراطيًّا يعتمد قبل كل شيء وبعد كل شيء على الدين....." (٣٢٣).

وكلمة " الأرستقراطية" التي وردت غير مرة ، منها قوله عن العنصر الثاني من عناصر الحكم الإسلامي بعد عنصر الدين:" عنصر الأرستقراطية التي لا تعتمد على

المولد ولا على الثروة..... وإنما تعتمد على شيء آخر وهو الاتصال بالنبي(ﷺ)[٣٢٤]"

-أما د. هيكل فقد اعتمد على كلمة " إمبراطورية " من أول كتابه حتى نهاية حديثه، يقول:" واستخلف أبو بكر عمر بن الخطاب فتابع سياسة الصديق، فاندفعت جيوش المسلمين من شبه الجزيرة إلى أراضي الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، فقضت على الإمبراطورية الفارسية وانتزعت من الدولة الرومانية أبرز ولاياتها، وامتدت الإمبراطورية الإسلامية في عهد عمر من الصين شرقاً إلى ما وراء برقة غرباً"[٣٢٥].

كما غلب أسلوب المقارنات ولا سيما عند د. طه، فمن الطبيعي أن يقارِن الكاتب بين عهد عثمان وما سبقه من عهود إسلامية، وهذا ما فعله الأديبان، كما كثرت المقارنة عندهما بعهد عمر خاصة؛ لأنه أقرب العهود الإسلامية به.

ولكن الغريب أن يدخل في المقارنة مع أبي بكر وعمر زيادَ بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان وهو عهد لم يأت بعد، يقول د. طه مقارناً بين الثلاثة وعثمان:" وقد يشق علينا أن نلاحظ أن هذا المذهب الذي ذهبه عثمان في الخلافة هو نفس المذهب الذي عرضه زياد في خطبته المشهورة حين قال:" أيها الناس! إنا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوَّلنا". ومن هنا لا نرى غرابة فيما روي عن عثمان من قوله:" إن أبا بكر وعمر كانا يظلمان أنفسهما وقرابتهما تقرُّباً إلى الله، وأنا أصل رحمي تقرُّباً إلى الله". اجتهد أبو بكر وعمر فظلما أنفسهما وقرابتهما، واجتهد عثمان فوصل رحمه وقرابته ولم يظلم نفسه "[٣٢٦].

وليس ذكر زياد من قبيل المصادفة، ولكن قارن بينهما د. طه مرة أخرى حينما تحدث عن إسراف عثمان وتركه عمَّاله يسرفون في العنف بالرعية ضرباً ونفياً وحبساً، فقال:" وقد يقال إن المسلمين أحدثوا في أيام عثمان أحداثاً لم تكن، فسار فيهم سيرة تلائم هذه الأحداث، وهذا بالضبط ما قاله زياد لأهل العراق:" وقد أحدثتم

أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة". وغريب أن تذكّرنا سياسة عثمان وولاته سياسة زياد مرتين"(٣٢٧).

٣.البنية السردية:

كثر أسلوب السرد والحوار عند الأديبين، فلم تخل قضية من القضايا التي تم نقاشها في الكتاب من الحوار والسرد.

ومن الحوار الذي انفرد به د. هيكل، حديث عثمان بن عفان مع خالته سعدى بنت كريز الكاهنة التي بشرته بإسلامه وبزواجه من رقيَّة . قال عثمان:" فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة وقد تزوجت بغيري". فقلت: أيا خالة ما تقولين؟

-قالت: عثمان لك الجاه، ولك الشأن، هذا النبي(ﷺ) معه البرهان...

-قال: قلتَ إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا.

-فقالت: محمد بن عبد الله، رسول من عند الله .....

-قال عثمان: فانطلقتَ مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرني.

-فقال: ويحك يا عثمان، إنك رجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل....الخ(٣٢٨).

يظهر -هنا- أن الأسلوب الحواري الذي شغل حيّزاً كبيراً من الحكاية، اعتمد على العبارات الحقيقية مع قدر كبير من السجع، وخلا تماماً من العبارات التصويرية أو الوصفية ذات الدعوات النقدية.

ومن أساليب الحوار التي انفرد بها د. طه قوله في إحدى الروايات الموضوعة، حين عزل عثمان ابن مسعود وكان خازناً لبيت المال:" يقول الرواة: إن ابن مسعود لم يحسن لقاء عثمان حين عاده، وسأله عثمان ما تشكو؟ قال: ذنوبي. قال عثمان: فما تشتهي؟ قال ابن مسعود: رحمة ربي. قال عثمان: أألتمس لك

طبيباً؟ قال ابن مسعود: الطبيب أمرضني. قال عثمان: أردُّ عليك عطاءك. قال ابن مسعود: حبسته عني حين احتجت إليه، وتردُّه إليَّ حين لا حاجة لي به! قال عثمان: يكون لأهلك. قال ابن مسعود: رزقهم على الله. قال عثمان: فاستغفر لي يا أبا عبد الرحمن. قال ابن مسعود: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي. قالوا وخرج عثمان، فأوصى ابن مسعود ألا يصلي عليه. ومات فلم يؤذن أحد عثمان بموته، وإنما صلَّى عليه عمار بن ياسر ثم دفن. ومرَّ عثمان من الغد بقبر جديد، فسأل عنه فقيل: إنه قبر ابن مسعود، فغضب عثمان وقال: سبقتموني به. قال عمار: فإنه أوصى ألا تصلي عليه. فأسرَّها عثمان في نفسه، وكانت من أسباب غضبه على عمار"(٣٢٩).

قال د. طه عقب هذه الرواية :" وظاهر أن هذا الحديث متكلف مصنوع، ، والأشبه بسيرة ابن مسعود أنه عفا واستغفر لعثمان"(٣٣٠).

فقد اتَّسم الأسلوب الحواري عند الأديبين بسهولة الانتقال، وروح الجدّ، واختيار المقاطع التي استنطقا بها شخوصهما، وهذه دلالة على مصداقية الحوار؛ لأنهما لا يتدخلان في فرض النص على شخوصهما، بل تجري الحقيقة التي فرضتها طبيعة الرواية على لسانهم، لذا كثرت الأساليب الحوارية في ترجمتهما.

ويتفق الأديبان في ظاهرة تعدد الروايات وتنوعها والإكثار منها كثرة مفرطة، وتحليل بعضها والتعليق عليه، وترك بعضها دون تمحيص أو تعليق، ويرجع عدم التعليق لأحد أمرين: إما لاقتناعهما بالرواية فلا تحتاج إلى تعليق، وإما الخوف من الإطالة لو تم التعليق على كل رواية، وهذا يؤكد محاولتهما جمع كل ما يتصل بالمترجم له، ولقد تم الإشارة إلى ذلك في أكثر من موضع في البحث.

ففي قصة عثمان مع ابن مسعود رضي الله عنهما سالفة الذكر التي وصفها د. طه بالتكلف والتصنع، ذكر قبلها رواية أخرى دون أن يعلق عليها؛ لاقتناعه بها وقبوله لما جاء فيها، يقول:" ويقول الرواة: إن عثمان عاد ابن مسعود، ثم يختلفون

بعد ذلك؛ فيقول بعضهم: إن عثمان اعتذر لابن مسعود، ولم يفترق الرجلان حتى تراضيا واستغفر كل منهما لصاحبه، ومات ابن مسعود فصلَّى عليه عثمان"(٣٣١).

واتبع هذا السبيل د. هيكل، فيقول مثلا: هذه رواية الطبري، أما رواية ابن الأثير،..... فيتبعها بالتحليل والتمحيص بعد أن يعرض فيها رأي الفريقين فيرجح أحدهما.(٣٣٢)

وأحيانا يرى د. هيكل أن الروايات التي ساقها المؤرخون غير كافية في الحكم فيقول:" أفأصدر عثمان أمراً إلى عبد الرحمن بن ربيعة بمتابعة الغزو حين جاءته الأنباء بمقتل عمر؟ لا تسعفنا روايات المؤرخين بما تطمئن له النفس، فقد اختلفوا في هذا الأمر كما اختلفوا في تاريخ الغزوات من بعد رسول الله، وأنت ترى في الكتاب الواحد من اختلاف الروايات ما تقف أمامه حائراً؛ أي رواية تأخذ وأي رواية تدع"(٣٣٣).

وأحياناً يرى أنه لا داعي للإسهاب والتفصيل فيقول:" والروايات في مقتل يزدجرد تختلف اختلافها في فراره، ولا حاجة لنا إلى تفصيل هذه الروايات في مثل إسهاب الطبري وغيره من المؤلفين، وحسبنا أن نشير إلى بعضها"(٣٣٤).

٤.الصراع والتصوير الفني:

ومما يسترعي الانتباه قلَّةُ التصوير الفني والصراع في حديث الأديبين عن عثمان ﷺ؛ والسبب أن الأحداث والروايات ليست وليدة الخيال، فالخيال لا يستطيع أن يقود الإنسان إلى دقة الحقائق وحقيقة الأوصاف والأماكن، " أليس الالتزام بالصدق التاريخي ملزماً للكاتب بأن يكبح جماح الخيال، وأن يقف عند الحقائق؟"(٣٣٥).

وإنما هي إشارات قليلة أدْلَى بها الأديبان بدَلْوهما في تصوير صراع الأحداث مما يؤكد أننا أمام رواةٍ يمتلكون الخصائص الفنية، ويعرفون أوصاف اللغة وتفاصيلها الدقيقة.

فمن الصراع المعبر عن حقيقة تتمزَّق لها الأكباد حزناً، هذا المشهد الدموي الذي جاء في كتاب" بين الخلافة والملك في الفصل الأخير " حين اقتحم الثوار دار عثمان ﷺ فقتلوه، يقول:" ولم يلبث الثُّوَّار أن أقدموا على مهاجمة دار عثمان وأشعلوا النار في بابها والسقيفة التي عليه، فخرج إليهم أصحاب عثمان يقاتلونهم ويصدونهم عن الدار، ودار بين الفريقين قتال عنيف، أصيب فيه كثير من أنصار عثمان بجراح وقتل آخرون، ولم يكتف الثوار بذلك، بل أخذوا يتسللون إلى دار عثمان عن طريق دار عمرو بن حزم الأنصاري، فوجدوا عثمان يقرأ في المصحف سورة البقرة، وتقدمهم محمد بن أبي بكر الذي أمسك بلحية عثمان، وقال له: قد أخزاك الله يا نعثل!، فاستاء عثمان من فعله وقال له: لست بنعثل[٣٣٦] ولكن عبد الله وأمير المؤمنين..... فطعنه ابن أبي بكر في جبينه بمشقص[٣٣٧]، ثم رفع كنانةُ بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف فضربه به، وأراد عثمان أن يتقي ضربة السيف بيده فقطعها، كما أكبَّت عليه زوجُهُ نائلةُ وتلقَّت السيفَ عنه بيدها، فقطع إصبعها، وضرب سودانُ بن حمران المرادي عثمان في جنبه فخر صريعاً"[٣٣٨].

هذا الصراع الذي يحمل من الأسى والإساءة ما الله به عليم، نسج الكاتب خلاله مشاهد وأحداثاً تجمع بين حالة الحركة التي تصور المشاهد الخارجية وبين الصراع النفسي الذي يصور الانفعال الداخلي، فالوقوف على البعد الخارجي الذي يعتني بالمشهد العام وشكله وملامحه وأوصافه، المتمثل في التفاف الثوار حول سياج الدار يحملون السيوف والمشاقص، وحركة بعضهم وهم يحرقون السقيفة، وآخرون يتسللون من الدار المجاورة يتنابلون ويتقاذفون، وتصوير الصراع

(الداخلي) النفسي عند الثوار وما تحمله نفوسهم من الغضب الذي تحوَّل إلى نار ودماء وأشلاء، صراع داخلي متدفق منبثق من نفوس مكلومة غاضبة، جاء هذا الصراع التجسيدي مطابقا لحالة الثوار وما يمثلونه من عدم الوقار، وما يعرفون به من أخلاق غير سوية، فكان وقوف الكاتب على البعد الحركي الخارجي، أول طُرقِ التصوير ليصل إلى البعد النفسي الداخلي، كما أن الكاتب لا يغيب عنه الحراك النفسي الصامت لزوجته نائلة وهي تشاهد هذه المذبحة في رجل مسن ناهز السبعين، ثم ينفجر فتَهُبُّ واثبةً للدفاع عنه وهي تعلم أنها لا حول لها ولا قوة، ولكنه صراع نفسي عاطفي وإن كانَ ذا دور ثانوي في هذا المشهد الدموي.

تصوير رائع لحالة الصراع النفسية التي تتمثل في الطاقة الشعورية المتدفقة التي تظهر صورة العجز والمعاناة، وقد ترفَّع د. طه عن ذكر مشهد القتل واكتفى بقوله:" وظل كذلك ينتقل مع أصحابه بين هذه الأحاديث حتى أقبلوا عليه فقتلوه"(٣٣٩).

وصراع فني آخر معبر تناوله الأديبان، يصوران رئيس المجلس عبد الرحمن بن عوف واقفاً يوم بيعة عثمان والناس يلتفون حوله.

يقول د. طه:" رقي عبدَ الرحمن المنبر وجلس مجلس النبي(ﷺ)، وقد اعتم بعمامةٍ كان النبي(ﷺ) قد عمَّمه بها في إحدى خرجاته، ثم وقف فأطال الوقوف، ودعا دعاء لم يسمعه الناس، ثم قال: هلمَّ إليَّ يا علي، فقام عليٌّ فسعى إليه، فبسط عبد الرحمن يده فأخذ بيد عليّ ثم قال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر؟ قال عليٌّ: اللهم لا! ولكني أحاول من ذلك جهدي وطاقتي. فأرسل يده، وقال: هلم إليَّ يا عثمان، فأقبل عثمان حتى وقف عند المنبر، وبسط عبد الرحمن يده فأخذ يد عثمان، وقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر؟ قال عثمان: اللهم نعم، قال عبد الرحمن: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم قام الناس فبايعوا عثمان"(٣٤٠).

هذا التصوير الفني الذي استند فيه الكاتب على خصائص رئيس المجلس (عبد الرحمن بن عوف)، الذي أثبت انطباعه الخاص وتأييده ببعض الشواهد الحسية(جلس مجلس النبي(ﷺ)- وقف فأطال الوقوف- ودعا...)، ولقد اكتسب مهابة أخرى تظهر على رأسه (اعتم بعمامة كان النبي(ﷺ) قد عمَّمه بها)، كل يمثل الصراع النفسي الذي يحمل طابع القوة والترقب والمهابة؛ والشعور بالقدرة دون افتعال أو انفعال، فتبرز أحاسيسه إلى الجمهور المشاهد ليبلغ تأثيره فيهم من أقرب طريق، فيدهش الناظرين ويستولي على قلوبهم حين يستفتيهم في صحة قراره، وهذا المشهد الحركي الذي قام به الناس وقت المبايعة في جوٍ مهيب مخوف، الذي اعتمد الكاتب فيه على التنوع الأسلوبي فتضمن أسلوب الحوار، وأسلوب القسم الذي ظهر في بسط عبد الرحمن يده، وأسلوب الدعاء في قوله" اللهم اشهد"، كلام متمم هادئ مع ما فيه من زفرات تخرج من أعماق قلبه، لخوفه ألا يبلغ ذلك المبلغ.

وصوَّر هذا المشهد د. هيكل تصويراً حيًّا معبِّراً، فقال:" أَلمحُ الآن عبد الرحمن بن عوف وهو بمجلسه على المنبر والمسلمون من حوله قد امتلأ بهم فراغ المسجد فلا يفوتني شيء من أمارات الجِدّ البادية على وجهه، إنه عزم أن يجعل الخلافة لعثمان وأن يدعو الناس لبيعتَه، أتراهم يسارعون إلى تلبية دعوته؟ أم ينقسمون.....لكن التردد في تولية الخليفة لا يحسم الشر ولا يجنب المسلمين الفتنة بل هو أدعى إلى قيامها وإلى اشتدادها، لذا دعا عبد الرحمن عليًّا فأخذ بيده.....ودعا عثمان.... فأجابه عثمان: اللهم نعم، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اسمع واشهد، ثم قال: اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك، وجعلته في رقبة عثمان"، وبايعه، عند ذلك أقبل من بالمسجد يتزاحمون يبايعون عثمان"[٣٤١].

مشهد درامي تصويري حيث نجد كلمة (ألمحُ) التي شكلت بوابة للولوج إلى عالم النص، ومنبِهاً أسلوبياً للقارئ ليلحظ بعينيه، ودعوة من الكاتب للقارئ

بالمشاركة في الرأي في قوله: "أتراهم؟"، فيظهر لك الصراع وكأنك تشاهد عدسة تصويرية تتأمل حركة الناس، وتتعقب نظراتهم وصمتهم وكلامهم، منذ الحركة النفسية التي تظهر في أمارات الجدّ البادية على وجه رئيس المجلس، وعزمه على البيعة حتى مشهد الزِحام الذي يجسّد دلالة الرضا والقبول عند الناس، إنه موقف الرئيس القلق المتفجع، فهو لا يرى الموقف هينا، وكفى بذلك تعبيرا قوله " اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي"، ليصور لنا مشهد التخلص والانتقال من رقبته وعهده إلى رقبة عثمان وعهده في صورة استعارية صوَّر فيها العهد بالقلادة والطوق، والآن تحققت مهمته التي أتعبته وأعيته وانتهى دوره.

ومن روعة التصوير في هذا المشهد أن ترى د. هيكل يصف المشاهد ويقصُّ ما وقع من أحداث بصيغة الماضي إذا به فجأة وبدون مقدمات ينتقل إلى ضمير المخاطب "أتراهم"، وبهذا يتحول القارئ من متابع لما يقول الكاتب عن الشيء الذي يتحدث عنه إلى متابع لذلك الشيء ذاته، إنه لم يعد يقرأ بل يشاهد، ويدخل مسرح الأحداث، فتزداد متعة الحديث، إذ لم يعد بينه وبين الأشياء حجاب من المؤلف وكلامه، بل أصبح يتصل به اتصالا مباشراً[٣٤٢].

٥.بناء العتبات النَّصِّية:

برع الكاتبان في انتخاب العناوين والفصول والمحتوى، كما تبدو الفصاحة والحس اللغوي والثروة اللفظية، وطلاقة اللسان، والقدرة على السرد التي مكنتهما من الانتخاب مع التزامهما الدقيق لقواعد اللغة، فمن الخطأ أن نشعر أن ألفاظ العناوين مألوفة شائعة غير مقصودة، بل لابد أن تكون مختارة بعناية لها ظلال سواء أكانت سياسية أم تاريخية أم اجتماعية، مشحونة بعاطفة نفسية وفكرية.

فترصيف الكلمات وتنضيد الجمل وبناء التراكيب، "كل هذا العمليات تجعلنا نرى النص بناء، لا يمكننا الانتقال بين فضاءاته المختلفة دون المرور من عتباته، ومن لا ينتبه إلى طبيعة ونوعية العتبات يتعثر بها"(٣٤٣).

ومن العتبات التي اتجهت إليها السميائية عتبة (الأغلفة- والعناوين- والفصول وغيرها)، التي ترتسم آفاق النص من دلالات وتأويلات.

١.(الغلاف)

فالغلاف هو الخلفية الحقيقية التي تضم بين جوانحها العمل ككل، وهو الحاجز الذي بواسطته نستأذن للدخول إلى عالم العمل سواء أكان شعرا أم نثرا، فهو يعدُّ التمهيد الأصيل للعمل، ولا يمكن ولوج الباب أو فك شفراته إلا من خلاله؛ فيسمح بالمرور والتجول داخل العمل، لأن الغلاف وما فيه من إشارات وتلميحات دالة على المتن.

وإن كان الغلاف في حقيقته ليس هو العتبة الأولى؛ بل المضامين التي يحملها الغلاف من اسم المؤلف، والعنوان، وأشياء أخرى قد يبسطها المؤلف على سطح غلافه، هي أوَّل العتبات، لذا فقد وضع د. هيكل لكتابه عنوان" بين الخلافة والملك.. عثمان بن عفان "، وزيَّن العنوان بحديث قصير:" أصدق أمتي حياء عثمان"، فجاء بناء الغلاف بهذه الصورة:

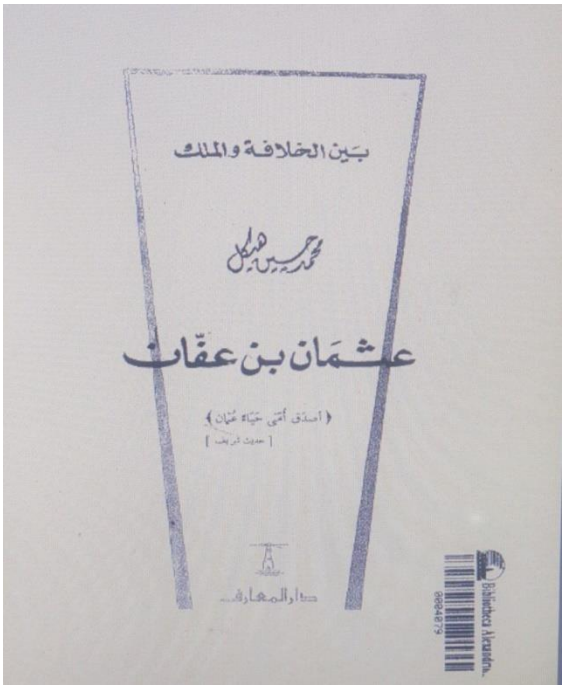

-فالاثنان (الغلاف والعنوان) من مفردات التواصل أو التشكيلات البصرية، فالصورة (الغلاف) أسرع للنظر من الخط المدوَّن عليه؛ لأن الرسم واللون أقرب في الوصول لذهن لمتلقي من قراءة العنوان.

-ومن ممتلكات الغلاف أيضا، أنه يساعد على فهم الجنس الأدبي، شعرا كان أو نثرا، قصة كانت أو ترجمة، مع بيان الهدف فنيًّا وجمالياً كان أو موضوعيا، فمنذ الوهلة الأولى وقد تبيَّنت طبيعةُ المحتوى التاريخي والتراجمي للكتاب.

-كما يفرق الغلاف بين اسم المؤلف الخارجي (الكاتب)، المعروف وصفاً وجسماً وهو الكاتب الكبير " محمد حسين هيكل"، وصاحب الأحداث داخل العمل الفني، حيث يستحيل عنصراً جمالياً مثل سائر العناصر الأخرى، المكونة للعمل الفني.

فالغلاف هو عتبة من عتبات النص، وأول واجهة مفتوحة الدلالات والتأويلات التي تصادف العين البصرية، وهي المحفز للمتلقي على الاقتناء والمطالعة[٣٤٤]

وقد جاء الكتاب في " مائة وثلاثين صفحة تقريباً" إذا أخرجنا منه المقدمة التي كتبها ابنه أحمد هيكل، وإن كانت المقدمة أضافت وفاضت بالجديد، اهتم الكتاب بالجانب السياسي والتاريخي للإمبراطورية الإسلامية أكثر من عنايته بالترجمة، وإن كان حجم الكتاب لا يسع تاريخياً تلك الفترة الشائكة، ولكنه جاء مختصراً دون صدع، موجزاً دون قطع.

ولقد وافت د. هيكل المنية –كما قال ابنه – قبل أن يتم ما بدأه في فصله الرابع، وكانت بداية كتابته لهذه الدراسة حوالي عام ١٩٤٥م[٣٤٥].

أما د. طه فقد سمَّى كتابه " الفتنة الكبرى ١ عثمان"، حيث قسَّم كتاب الفتنة الكبرى جزأين، الجزء الأول "عثمان"، والجزء الثاني " علي وبنوه"، فجاء بناء الغلاف على النحو التالي:

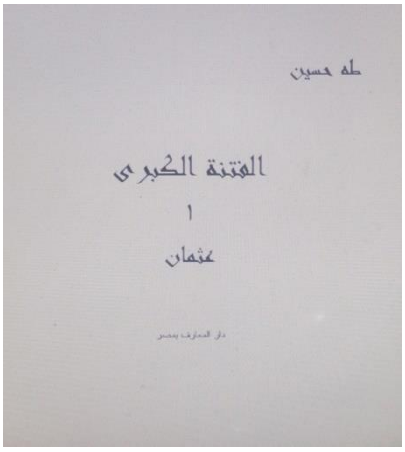

– فالغلاف عند الأديبين احتوى على عنوانين " عنوان رئيسي وهو(بين الخلافة والملك – والفتنة الكبرى) + عنوان فرعي، وهو "عثمان"، وهو عنوان شارح ومفسر للعنوان الرئيسي[٣٤٦].

–وقد يضم (الغلاف الخلفي) الصفحةُ الثانية كلمات الناشر أو صورةَ المؤلف.

وجاء الكتاب (الفتنة الكبرى) في مائتين وثلاثين صفحة تقريباً، دون مقدمة له

أو لغيره، عمد الكاتب إلى الحديث مباشرة عن الأنظمة السياسية والاجتماعية، ثم الحديث عن الحكم الإسلامي والفتن والمكايد التي أدَّت إلى مقتل عثمان في سرد تاريخي أقرب منه إلى الترجمة، صدرت الطبعة الأولى للجزء الأول من كتاب الفتنة الكبرى (عثمان) ١٩٤٧م، وللجزء الثاني (علي وبنوه) ١٩٥٣م، وأعيد طبع الجزأين في بيروت سنة ١٩٦٧م ضمن مؤلفات أخرى تحت عنوان "إسلاميات"(٣٤٧).

فالغلاف وما يحتويه من عناوين هي علامات سيميائية توضح مجالات القراءة، وتعطي معاني ودلالات " بوصفها نصوصاً مصاحبه، ويبقى التفصيل إلى حينه بوصفه تضييقاً للمعنى، وتحديداً للدلالة، وتعييناً للقصد"(٣٤٨).

٢.العناوين:

فالعناوين تحمل معاني ودلالات مجملة، وهي عتبة من العتبات، مرافقة ومصاحبة للنص ، " كعناوين للفصول والمباحث والأقسام.... وهي كالعنوان الأصلي غير أنه يوجه للجمهور عامة، أما العناوين الداخلية فنجدها أقل منه مقروئية، تتحدد بمدى إطلاع الجمهور فعلاً على النص/ الكتاب، أو تصفح وقراءة موضوعاته"(٣٤٩)

قد جاءت عناوين فصول كتاب د. هيكل " بين الخلافة والملك" كلاسيكية الشكل، تستجيب لرغبة القارئ، تحظى بالقبول المرئي منذ قراءتها الأولى، فهي صنيع أديب عالم برنين الكلمات وصخبها في أذن القارئ مع الصدق وروعة الانسجام والإخلاص.

فجاءت عناوين الفصول على مستوى البنية التركيبية، بعضها على شكل جملة غير تامة مثل (حديث الشورى وبيعة عثمان، وحكومة عثمان، ونهاية حياة عثمان)، وبعضها على شكل جمل تامة، مثل (عثمان بين أمسه وغده، الفتح في عهد عثمان)، فالجملة الإسمية أو شبه الجملة هي العنوان الأكثر تداولاً بين الكُتَّاب؛ لإيجازها ولأنها أوضح دالة من الجملة الفعلية.

وقد جاءت تفاصيل العناوين على النحو الآتي:

-الفصل الأول: حديث الشورى وبيعة عثمان.

-الفصل الثاني: عثمان بين أمسه وغده.

وكان من الطبيعي لسيرة المترجم له أن يتقدم الفصل الثاني على الفصل الأول، وهي الطريقة التي تخضع للتسلسل الزمني، والاستجابة لنبض الحياة الطبيعية المتدفقة، وإنما كان السبب في هذا الترتيب هو اهتمام الكاتب بالجانب السياسي أكثر من غيره، فكان الفصل الأول – من وجهة نظره- هو مفتاح الدراسة الدقيق لفهم ما بعده.

١.الفصل الثالث: الفتح في عهد عثمان.

٢.الفصل الرابع: حكومة عثمان.

بدأ د. هيكل الفصل الرابع ولم يتح له أن يتمه، يقول أحمد هيكل في مقدمة الكتاب المذكور:" وقد وقف الأجل بالدكتور هيكل عند هذا الحد من البحث في سيرة عثمان بن عفان، فلم يتح له أن يتم ما بدأه في الفصل الرابع من الكتاب من دراسة لحكومة عثمان واتجاهات الرأي في عهده"(٣٥٠).

٣.الفصل الخامس: نهاية حياة عثمان.

فالفصل الخامس ليس من دراسة د. هيكل – فقد سبقه الأجل قبل أن يتم كتابه، " وقد تفضل د. جمال الدين سرور أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة القاهرة بكتابة الفصل الأخير عن نهاية حياة عثمان"(٣٥١).

والدكتور محمد جمال الدين سرور رحمه الله تعالى كان قويَّ الملاحظة، دقيقاً في النقل والاستنباط، يلتقط نغم الكلمات مع الروعة والحيوية، فهو لا شك مؤرخ عظيم، ومحقق ذو هوية عربية وإسلامية، عرفته دار إحياء التراث رئيساً على مدى عشرين عاماً، وله كتب عديدة تمسُّ هذا الجانب، أهمها كتاب" قيام الدولة العربية

والـإسلامية .. فـي حياة محمد (ﷺ)، فجاء أسلوبه صحيحا صريحا، بديعا فصيحا، خالياً من الجدل والروايات المتعددة إلا ما ندر، أتمَّ العمل في صورة لا نقول مطابقة ولكنها شبه مطابقة لما كان يريده د.هيكل دون بتر أو انقطاع أو التفاتٍ مفاجئ للتعبير يعيب الفكرة أو يقطع الحديث.

أما د. طه حسين، فقد وضع كتابه في فصول بلا عناوين لفظية واكتفى بالترميز الرقمي(من ١ حتى ٣١)، وذلك يرجع لما أحدثته الحقبة المعاصرة من تغييرات تتماشى مع تطور الأجناس الأدبية، خاصة التي تكون بعض فصولها مرقمة أو تحمل عنوانا أو حرفاً أبجدياً إلى غير ذلك من التقنيات الكتابية الجديدة[٣٥٢].

خاطب د. طه بهذه العناوين العقول قبل العيون، دون بذل في اختيار عناوين الفصول الرئيسة، ليُقلّبَ القارئُ بفكره وحسه في كتابه عن قناعة غامرة واختيار زاخر بالمعلومات بعد القَراءة لتتجلى له العناوين عن صدق وانفعال.

وإن كان د. طه لم يضع عناوين رئيسة للفصول الإحدى والثلاثين إلا أنه استطرد في وضع عناوين فرعية في نهاية الكتاب تحت كل رقم بلغت خمس صفحات[٣٥٣]، نعرض الفصول الفرعية لرقم (١) التي جاءت على هذا النحو:

١.خطبة الكتاب.

٢.تجربة سياسية.

والفصول الفرعية تحت رقم (٣) بلغت ستة عشر عنوانا فرعياً، ذات بنية تركيبة متباينة، ومجمل العناوين الفرعية في كتابة بلغت مائة عنوان تقريباً، بين الجملة الإسمية، مثل:(الطبقة الأولى من رعية عثمان قريشٍ)، والجملة الفعلية، مثل: (تأهب أنصار عثمان للدفاع عنه في الدار)، وجملة إنشائية، مثل: (هل همَّ عثمان أن يخلع نفسه في آخر لحظه؟).... وغير ذلك.

فالعناوين الداخلية كبنى سطحية هي عناوين واصفة شارحة لعنوانها الرئيسي كبنية عميقة، فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيسي؛ لتحقق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين (الداخلية والرئيسية) والنص بانية سيناريوهات محتملة لفهمه[٣٥٤].

ولكن لا جدوى من كثرة العناوين الفرعية التفصيلية التي بلغت أكثر من مائة عنوان تفصيلي، ولا جدوى من انتزاع كلمات من بين سطورها لوضعها عناوين فرعية، ما دام لم يضع لها الكاتب قالباً واضحاً داخل الكتاب، ولكن هل يحاول الكاتب استرضاء القارئ عندما يتصفح فهرسه؟ وهل يحق لنا أن نستنبط عناوين رئيسة من دلالات العناوين الفرعية؟ فإذا أتيح لنا ذلك، يمكن أن تكون عناوين الفصول على هذا الصورة:

-الفصل الأول: من رقم ١ حتى ٣ (أنظمة الحكم قديماً).

-الفصل الثاني: من رقم ٤ حتى ٧ (عثمان قبل وبعد الخلافة).

-الفصل الثالث: من رقم ٨ حتى ١٤ (الصراع حول خلافة عثمان).

-الفصل الرابع: من رقم ١٥ حتى ١٨ (مجلس الشورى).

-الفصل الخامس: من رقم ١٩ حتى ٢١ (المعارضون لعثمان من الصحابة).

-الفصل السادس: من ٢٢ حتى ٢٤ (آراء المذاهب في اجتهاد عثمان).

-الفصل السابع: رقم ٢٥ (السياسة المالية في عهد عثمان).

-الفصل الثامن من رقم ٢٦ حتى ٣٠ (موقف أعلام الصحابة من عثمان).

-الفصل التاسع رقم ٣١ (نهاية زمن عثمان).

هذه عناوين لفصول رئيسة قد تحقق بعضاً من الإيجاز، ولا ريب أن د. طه له أسبابه التي دعته إلى هذا التفصيل، ولكني أحاول إقناع القارئ وأسترضيه بهذه

العناوين الرئيسة التي لا تكمل نقصاً أو تعدِّل رسماً بل مُثْنياً وراجياً.

ثالثاً: من الملامح العامة للتراجم التي ظهرت عند الأديبين بصفة عامة وفي تراجمهما للشخصيات الإسلامية على وجه الخصوص ما يأتي:

١.أن الترجمة الغيرية عند الدكتور هيكل كانت تنبعث – في أوَّل أمرها– من الحضارة الغربية، فهو يرى ألا " مانع أن ننقل من حياة الغرب العقلية ما يسمو بنا إلى النهوض[٣٥٥] ،"وكيف أنه استقر أخيراً إلى أن الحضارة العربية والدين الإسلامي.. هما السبيل السليم إلى بعث حضارة جديدة"[٣٥٦]."وكم في ماضينا من أرواح ذات سنا باهر قادرة بقوتها على أن تبعث الحضارة الإسلامية خلقاً جديداً"[٣٥٧]، فالتطور الفكري والروحي واستلهام التراث و" حماسته الفائقة للتاريخ الفرعوني والحضارة المصرية القديمة"[٣٥٨]، كان ملحوظاً في تراجمه وسيرة.

–أما الدكتور طه حسين وإن كانت تراجمه قائمة على التحليل العقلي والتأمل إلا أنها تحمل نفساً عروبياً وإسلامياً واعياً.

٢. كما جاءت ترجمة د. هيكل مباشرة معتدلة متأثرة بشخصيته الرزينة، وطفولته المستقرة، ودفء عائلته، فيبدو الاتزان في ترجمته وقصصه ووظائفه السياسية، فقد كان –على سبيل المثال– شديد الإعجاب بجان جاك روسو حين ترجم له مع الاختلاف في العقيدة والاتجاه، موضوعيًّا مع ارتكابه للجرائم وحياة التشرد[٣٥٩]. وزار قبره لما ذهب إلى فرنسا ووصفه بأبي الحرية وصاحب قرآن الثورة الفرنساوية[٣٦٠].

–أما د. طه حسين فيغلب على ترجمته عبارات التشكيك والريبة وعدم الاعتراف المباشر بالروايات مهما بلغت درجة تواترها أو مصداقية راويها أو سندها إلا بعد تمرير عقلي مما يدل على نجابته المتفردة بين أدباء عصره.

٣.غلبة التيار السياسي والموضوعية على تراجم د. هيكل الذاتية ، وذلك يعود إلى أصل انتمائه وثقافته، فهو في الأصل سياسي قانوني قبل أن يكون أديباً قاصًّا، ومع ذلك لم تخل التراجم الغيرية عند د. هيكل من التحليل النفسي للشخصية وذكر أبعادها الروحية والعاطفية والخُلْقية ولكن في مواضع ضئيلة متعددة.

– أما د. طه فنلحظ ميله إلى الأدب الفني التصويري الذي يعتمد على الإدراك العاطفي في تراجمه الذاتية، والأسلوب الاستعراضي في التراجم الغيرية مع الاحتجاج والتعليل.

٤. احترام د. هيكل للبعد الديني للشخصيات التي يترجم لها، وتعامله مع الروايات والأحداث والمواقف التاريخية بمصداقية وإن خلت من الابتكار، " وهي طريقة كتب السيرة المهذبة. ترجع إلى ابن هشام، وابن سعد، وابن جرير .... وغيرهم"(٣٦١).

وقد بدت غيرة د. هيكل على الدين الإسلامي في بواعثه اتجاه ترجمته للشخصيات الدينية في سلسلة بدأها بحياة محمد ﷺ مرورا بالشيخين وعثمان رضي الله عنهم، فمما دفعه إلى الترجمة نشاطُ التبشيريين فقد نشط هذا الاتجاه التبشيري بالمسيحية في مصر، وكان له أثر عميق تناقلته الصحف،" وكان غريباً حقًّا هذا النشاط الذي أبداه المبشرون، والذي لم يسمع بمثله من عشرات السنين... وقد تحدثت وسائل الصحف عن وسائل الإغراء التي يلجأ إليها المبشرون لحمل السذج على اعتناق المسيحية، ولتنصير الأطفال الأبرياء من أبناء المسلمين الفقراء، وارتاع الناس لهذه الحملة التبشيرية أيما ارتياع"(٣٦٢).

فالدكتور هيكل يعتمد في دراسته للشخصيات الإسلامية على البعد التاريخي للشخصية بوصفه سلسلة متصلة الحلقات داخل الإمبراطورية الإسلامية منذ كتابه حياة محمد (ﷺ) حتى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كنسيج متلاحم صنع حضارة جديدة وقضى على حضارات قديمة كحضارتي الفرس والروم.

-أما الدكتور طه فيتعامل مع أحداث الشخصيات الإسلامية من منظور شخصي يبحث فيها عن الحقيقة دون الاعتماد على مجال التاريخ، ومما أوقعه في مواطن الضعف، "عدم تدقيقه في استخدام المراجع، فنادراً ما يذكر مرجعاً محدداً"(٣٦٣).

-ولم يختلف الأديبان كثيرا في ترجمتهما لعثمان بن عفان من حيث سرد الحوادث والآراء والتعليق عليها، ومناقشتها، وإن كان هذا كما يقال:" يبدد الصورة الإنسانية، ويحيلها سيرة تاريخية جامدة، عنصر الحياة فيها ضئيل"(٣٦٤).

الخاتمة

وبعد هذا التصفح، والاطلاع على فلسفة الأديبين في فنِّ الترجمة الذاتية والغيرية ومعالم البناء الفني والموضوعي في عملهما، أشير إلى أهم النقاط التي ظفرت بها:

أولاً: النتائج:

١.أن فن الترجمة والسير فن عربي أصيل، اكتسب بعض السمات الفنية الحديثة الوافدة من الأدب الغربي.

٢. أن دراسة السير والتراجم تختلف عن دراسة القصة والرواية، فلا تُرى فيها عَقدة ظاهرة، ولا خاتمةٌ درامية تدل على النهاية المطلقة كما في القصة أو الرواية، بل أحداثٌ متعاقبةٌ متصلةٌ، وليدة نظرات ذاتية حقيقية ودرامية، وتاريخية واقعية ومتخيلة، مع وجود التقنيات الدرامية فيها بصورة تتضافر فيما بينها وتتعاون.

٣.أن الأديبين نجحا – إلى حدٍ كبير– في تطبيق آليات الترجمة الذاتية والغيرية ومعالمها الفنية، ومحاولة التحقق من الأحداث والوقائع ولو نسبياً.

٤.بين الأديبين قواسم مشتركة وتطابق وتماثل في بعض الصفات المهنية والعلمية التي تؤكد مكانتهما ودورهما في النهضة الأدبية الحديثة عامة، وفي الأدب المصري والصحافة على وجه الخصوص.

٥. صوَّر الكاتبان الترجمة الذاتية والغيرية في أسلوب متنوع متغاير، بين الجِدِّ والفكاهة، والبساطة التعبيرية والدقة، والشكوى والاغتراب النفسي والارتياح.

٦. تميَّزت شخصيتهما بقوة السرد والحوار، والخلق والاستهلال، ودقة الملاحظة، والقدرة على إدارة الأحداث والمشاهد مع توظيف الأسلوب الاحتجاجي والنقدي والتحليلي للمعالجة والإصلاح.

٧. ومن أهم ما اتسم به الكاتبان في الكشف البيئي للحدث، أولاً: المصداقية في النقل والميثاق الوفي والارتباط بالحقائق والوقائع بصورة كلية؛ ثانياً: قُوَّة ذاكرتهما وقدرتهما على نقل صورة مكتملة غير مشوَّهةٍ.

• التوصية :

١.ما زالت السير والتراجم في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة حول الاتجاه النفسي للأديب وأثره في اختيار الشخصية، وانعكاس شخصية المترجم على المترجم له، أملاً في تحفيز النقاش، وتشجيع الباحثين، وتقديم مقترحات غير تقليدية

الهوامش

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثامنة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٢.

(٢) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ١٠٤.

(٣) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ١٠٣-١٠٤.

(٤) كتب وشخصيات، سيد قطب، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٣٠٠.

(٥) كتب وشخصيات، ص ٣٠٠.

(٦) ينظر: تاج العروس ، مادة (ت ر ج م)، ٣١/ ٣٢٧.

(٧) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د/ ت. ط)، ص٣١.

(٨) ابن الدَّاية (ت ٣٤٠ هـ) هو أحمد بن يوسف بن إبراهيم البغدادي المصري، أبو جعفر الكاتب، ابن الداية: باحث، من وجوه الكتّاب الفصحاء، كانت له معرفة بالأدب والتاريخ والطب والفلك والحساب. وله شعر حسن. أصله من بغداد، وله (سيرة أحمد بن طولون) و (وسيرة أبي الجيش خمارويه) و (سيرة هارون بن أبي الجيش) و (أخبار غلمان بني طولون) و (أخبار الأطباء) و (مختصر المنطق) و (أخبار المنجمين) و (السياسة لأفلاطون – ط). ينظر: الأعلام للزركلي ١/ ٢٧١-٢٧٢.

(٩) ينظر: سيرة أحمد بن طولون، تأليف أبو محمد عبد الله المديني البلوي، تحقيق: محمد كرد علي، مؤسسة هنداوي، ص ٨، ٩ وما بعدها. وينظر: الترجمة الذاتية ، يحيي عبد الدايم، ص ٣١.

(١٠) التراجم والسير، قدم له : محمد عبد الغني حسن، من كتب سلسلة فنون الأدب العربي الفن القصصي الذي يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطاب العربية، دار المعارف، سنة ١٩٥٥م، ص ٦.

(١١) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، ص ٢٣.

(١٢) السيرة الذاتية.. الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة وتقديم/ عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٢٢.

(١٣) السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، دراسة في ثلاثية حنا مينا، يمنى العيد، مجلة

فصول، م ١٥، ع ٤، ١٩٩٧م، ص ١٣.

(١٤) السيرة الذاتية، فيليب لوجون، ص ١٠.

(١٥) السيرة الذاتية، فيليب لوجون، ص ١٠، ١١.

(١٦) الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م،ج٤/ ٥٦- ٧٠.

(١٧) ينظر: عبدالعزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر- لونجمان، دار نوبار للطباعة، ١٩٩٢م، ص ٤٧.

(١٨) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص٦.

(١٩) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، ص ١٠.

(٢٠) أعلام الأدب المعاصر في مصر، طه حسين جـ١، جمدي السكوت، وماردن جونز، ط٢، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني،١٩٨٢م، ص ٨٥.

(٢١) فن السيرة، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دار الشروق ، عمان ، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٠١.

(٢٢) طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، عبد العزيز شرف، ط٢، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع- تونس، سنة ١٩٨٨م، ص ١٤.

(٢٣) الأيام، طه حسين، ط٤١، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩م ١/ ٧.

(٢٤) الأيام، طه حسين، ١/ ١٧.

(٢٥) ينظر: الأيام، طه حسين، ١/ ١٧.

(٢٦) ينظر: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص ١٤.

(٢٧) ينظر: أنا، العقاد، ص ١٥.

(٢٨) الأيام، طه حسين، ١/ ٦.

(٢٩) الأيام، طه حسين، ١/ ٨.

(٣٠) الازورار: الإعراض، الأيام، طه حسين، ١/ ١٧.

(٣١) الأيام، طه حسين، ١/ ١٨ - ١٧.

(٣٢) ينظر: الأيام، طه حسين، ١/ ١٩ - ٢١. بتصرف.

(٣٣) الأيام، طه حسين، ١/ ٢٢ – ٢٣.

(٣٤) الكرار: حجرة يدَّخر فيها الوان الطعام .

(٣٥) القرمة: قطعة ضخمة عريضة من الخشب عليها السكاكين.

(٣٦) الأيام، طه حسين، ١/ ٦٠.

(٣٧) الأيام، طه حسين، ١/ ١٢٠. ذكر كيف ماتت أخته في الصفحات التي تليها حتي ١/ ١٢٥ ، والانحطاط والجهل بالطب وبالصحة في القرى والريف.

(٣٨) الأيام، طه حسين، ١/ ٢٧.

(٣٩) الأيام، طه حسين، ١/ ٤٢.

(٤٠) الأيام، طه حسين، ١/ ١١٦.

(٤١) الأيام، طه حسين، ١/ ١١٨.

(٤٢) الأيام، طه حسين، ١/ ٢٧.

(٤٣) الأيام، طه حسين، ١/ ٣٨.

(٤٤) الأيام، طه حسين، ١/ ١٣٧.

(٤٥) فن السيرة، إحسان عباس، ص ١٣٦.

(٤٦) الأيام، طه حسين، ١/٤–٥.

(٤٧) الأيام، طه حسين، ١/١٤.

(٤٨) الأيام، طه حسين، ١/٩.

(٤٩) الأيام، طه حسين، ٢/١٠٤.

(٥٠) الأيام، طه حسين، ٢/١٢١ –١١٩.

(٥١) الأيام، طه حسين، ٢/١٢٢.

(٥٢) الأيام، طه حسين، ١/١١٦–١١٧.

(٥٣) الأيام، طه حسين، ٢/١١٠–١١١.

(٥٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، طه حسين، دار الكتاب لبنان، بيروت، ١٩٨٣م، ص٦٦٧.

(٥٥) كتاب" معك"، سوزان طه حسين، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: محمود أمين العالم،

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص٣٣.

(٥٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، طه حسين، ص ٦٤٣- ٦٧٣.

(٥٧) ما بعد الأيام، محمد حسن الزيات، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع- القاهرة، طبعة سنة ٢٠١٨م، ص ١٣١.

(٥٨) ما بعد الأيام، محمد حسن الزيات، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع- القاهرة، طبعة سنة ٢٠١٨م، ص ١٤٦.

(٥٩) الأيام، طه حسين، ٣٣/١ -٣١

(٦٠) الأيام، طه حسين، ٣/١.

(٦١) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٣.

(٦٢) الأيام، طه حسين، ١٣٣/٢. سورة الحجرات: ١٢.

(٦٣) الأيام، طه حسين، ٣٠/٢. من قوله تعالى:" اللَّهُ يحكم بينكم يوم القيامة فيما كُنْتُمْ فيه تَخْتَلِفُونَ" الحج: ٦٩.

(٦٤) البيت لتأبط شرا في" شرح ديوان الحماسة "لأبي علي المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، ط١، ٢٠٠٣، ص ٦٣.

(٦٥) الأيام، طه حسين، ١٣٧/٢. وله أبيات شعرية قديمة أخرها ذكرها في كتابه " أديب " في قصته مع صديقه الذي زاره في بيته. ينظر" أديب، طه حسين، مهرجان القراءة للجميع – وزارة الثقافة – مصر، طبعة سنة ١٩٩٨م، ص٣٩.

(٦٦) فن السيرة، إحسان عباس، ص ١٣١.

(٦٧) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٧.

(٦٨) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٥.

(٦٩) ينظر" أديب، طه حسين، مهرجان القراءة للجميع، طبعة سنة ١٩٩٨م، ص١٥-١٦.

(٧٠) السيرة الذاتية ، فيليب لوجون، ص ٣٥.

(٧١) البنية السردية في النص الشعري، محمد زيدان، صـ ٧١ ، ٧٢ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة – (سلسلة كتابات نقدية ١٤٩) ، ط١ ، أغسطس ٢٠٠٤م .

(٧٢) ينظر: السيرة الذاتية، فيليب لوجون، ص ٢٧.

(٧٣) خورخي سمبرون .. الأنا، التخييل، التاريخ، تأليق: دنيال ريو، ترجمة: كاميليا صبحي، مجلة فصول، العدد ٦٧، صيف-خريف ٢٠٠٥م، ص ٢١٧.

(٧٤) التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، ط.١ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١ بيروت١٩٩٩م، ص١٨.

(٧٥) فن السيرة، إحسان عباس، ص ١٣٣.

(٧٦) فن السيرة، إحسان عباس، ص ١٣٤.

(٧٧) أديب، طه حسين، ص ١٧.

(٧٨) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٢.

(٧٩) ينظر: الأيام، ٢/ ١٢٣.

(٨٠) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٣.

(٨١) الأيام، ٢/ ١٢٢.

(٨٢) الأيام، ٢/ ١٥٣--١٥٢.

(٨٣) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٣.

(٨٤) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣٤.

(٨٥) فن السيرة، إحسان عباس، ص١٣١.

(٨٦) ينظر: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص ٨١.

(٨٧) الدكتور محمد حسين هيكل.. حياته وتراثه الأدبي، طه وادي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م، ص٢٦.

(٨٨) زينب، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ١٩.

(٨٩) زينب، ص ١٩.

(٩٠) زينب، ص ٢٠-١٩.

(٩١) ينظر: الأيام، طه حسين، ١/ ٦٠.

(٩٢) زينب، ص ١٩.

(٩٣) زينب، ص ٢٠.

(٩٤) الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٢٧٠.

(٩٥) مذكرات في السياسة المصرية، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م، ص ١/ ٣٩.

(٩٦) ينظر: مذكرات في السياسة المصرية، ص ١/ ٥٢.

(٩٧) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م، ص ١/ ١٧.

(٩٨) الدكتور محمد حسين هيكل.. حياته وتراثه الأدبي، ص٢٧.

(٩٩) زينب، ص ٢٠.

(١٠٠) في أوقات الفراغ، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٢٠٣.

(١٠١) في أوقات الفراغ، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٢٠٤-٢٠٣.

(١٠٢) الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ط ١٠، دار المعارف، ص ٢٧٠.

(١٠٣) زينب، ص ٣٣.

(١٠٤) في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي، سنة ٢٠١٤م، ص ٥٣٦.

(١٠٥) ينظر: الأيام، طه حسين، ١١٩/٢. بتصرف

(١٠٦) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، دار المعارف، ص ٢/ ٥٩.

(١٠٧) مذكرات الشباب، محمد حسين هيكل، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م، ص ١٧-١٨.

(١٠٨) محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق،١٩٩٨م، ص ٣٨- ٣٩.

(١٠٩) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، دار المعارف، ص ٢/ ٣٥.

(١١٠) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، دار المعارف، ص ٢/ ٥١.

(١١١) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، دار المعارف، ص ٢/ ٥١.

(١١٢) محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص ١٠- ١١.

(١١٣) مذكرات في السياسة المصرية، هيكل، دار المعارف، ص ٢/ ٧٦.

(١١٤) ينظر: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، عبد العزيز شرف، ص ٥٥.

(١١٥) هربرت سبنسر فيلسوف بريطاني، صاحب نظريات متطرفة في الليبرالية، وقد أسهم في ترسيخ مفهوم الارتقاء(١٨٢٠- ١٩٠٣م).

(١١٦) زينب، ص ١٩.

(١١٧) طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، عبد العزيز شرف، ص ٥٣.

(١١٨) طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، عبد العزيز شرف، ص ٥٥.

(١١٩) مذكرات في السياسة، ١/ ٧٦.

(١٢٠) ككتاب: مذكرات في السياسة لهيكل جزأين، وكتاب الأيام لطه، وكتاب ما بعد الأيام لمحمد حسن الزيات، وكتاب "معك" لسوزان طه حسين. .... الخ.

(١٢١) في أوقات الفراغ ، مقال : تذكارات الطفولة (١) في الكتاب، ص ٢٠٣.

(١٢٢) الأيام، طه حسين، ١/ ٦٠.

(١٢٣) زينب، ص(أ).

(١٢٤) زينب، ص١٢.

(١٢٥) زينب، ص١٧.

(١٢٦) مذكرات الشباب، محمد حسين هيكل، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦م، ص ١٥٥.

(١٢٧) مذكرات الشباب، ص ١٥٥.

(١٢٨) مذكرات الشباب، ص ١٥٧.

(١٢٩) مذكرات الشباب، ص ٩٧.

(١٣٠) محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص ٤٣.

(١٣١) ينظر: محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص ١٣٨- ١٤٠ .

(١٣٢) محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص٢٨١.

(١٣٣) زينب، ص ١٩.

(١٣٤) زينب، ص ١٦.

(١٣٥) سورة الأنبياء من الآية ٤٢.

(١٣٦) المذكرات ٢/ ٢٥.

(١٣٧) ينظر مذكرات الشباب، منذ سفره ٧ يوليو ١٩٠٩م، ص ٩ وتاريخ عودته من الرحلة الأولى ٢ أغسطس سنة ١٩١١م،ص ٢٤٤، ثم رحلته إلى فلسطين ولبنان سنة ١٩٢٤م، ص ٣٢٩.

(١٣٨) سورة المائدة من الآية ٣.

(١٣٩) مذكرات في السياسة، ١/ ٣١.

(١٤٠) ينظر: مذكرات في السياسة،٢/ ١٦٩ . والبيت لسَلْم الخَاسِرُ (سلم بن عمرو بن حماد): في المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع، تحقيق: عمر خليفة بن ادريس، ط١، ١٩٩٤، ص١٠٥.برواية... مات غَمًّا.

(١٤١) في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٤م، ص ٥٣٦.

(١٤٢) ينظر: الأيام، طه حسين، ١١٩/٢. بتصرف

(١٤٣) من قوله تعالى:﴿ وألفيا سيدها لدا الباب﴾ يوسف: ٢٥.

(١٤٤) مذكرات الشباب، ص ١٨٩.

(١٤٥) صحيح البخاري، ٥/ ٨٤.

(١٤٦) زينب، ص٢٤.

(١٤٧) مذكرات في السياسة ٢/ ٢١.

(١٤٨) مذكرات في السياسة ٢/ ٥.

(١٤٩) مذكرات في السياسة، ١/ ٦٣ -٥٩ -٥٥. و ٢/ ٤٤، ٤٥، ٧٥.

(١٥٠) مذكرات في السياسة، ٢/ ٥٧.

(١٥١) مذكرات في السياسة ٢/ ٥٣.

(١٥٢) ينظر: مذكرات في السياسة ٢/ ٥٦.

(١٥٣) مذكرات في السياسة ٢/ ٦١.

(١٥٤) السيرة الذاتية ، فيليب لوجون، ص ٢٤.

(١٥٥) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص ٣٣-٣٦. بتصرف كبير

(١٥٦) النقد الأدبي، سيد قطب، ص١٠٢، وينظر: الدكتور محمد حسين هيكل، طه وادي، ص ١٣٨.

(١٥٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ٥٠.

(١٥٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد هيكل، دار المعارف – مصر، ص ٢٤.

(١٥٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥٠.

(١٦٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٩.

(١٦١) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٦٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥١. بين الخلافة والملك ..، هيكل، ص ٤٠.

(١٦٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥١. بين الخلافة والملك، محمد هيكل، ص ٤٠.

(١٦٤) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٦٥) هي سعدي بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، خالة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت قد تكهنت لقومها، ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى من طريق محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو الملقب بالديباج عن أبيه عن جده، قال: كان إسلام عثمان أنه ... ، فذكر قصة طويلة فيها -: أن خالته سعدى أخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب إسلامه....إلى. ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تأليف: صالح الجعفري، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، ط١، مكتبة العبيكان- الرياض، ١٩٩٨م، ٨٦١/٢.

(١٦٦) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤١.

(١٦٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤١.

(١٦٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٢-٤١.

(١٦٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥١.

(١٧٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٥.

(١٧١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥٢-٥١. بين الخلافة والملك، هيكل، ص ٤٣.

(١٧٢) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٣.

(١٧٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ٥٢.

(١٧٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ٥٢.

(١٧٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٤.

(١٧٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ٥٢-٥٣.

(١٧٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٩.

(١٧٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٩.

(١٧٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٨٠) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٨١) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٨٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٠.

(١٨٣) ينظر: بين الخلافة والملك، هيكل، ص ٤٥. وينظر: الفتنة الكبرى.. عثمان، ص ٥٢.

(١٨٤) الكَرَاديس: الفَخذَيْن. مفرده: الكُرْدُوسَةُ، وكل عَظْمَيْن التقيا في مَفْصِل فهو كُردوس، نحو المَنْكِبين والركبتين والوركين ... ومنه قول علي ﷺ في صفة النبي ﷺ: "ضخم الكراديس"، قال أبو عَبيدة وغيره: أراد أنه ﷺ ضخم الأعضاء. التاج: (ك ر د س).١٦/ ٤٣٣.

(١٨٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٩.

(١٨٦) المَتْكاءُ من النِّساء: العَظيمةُ البَطْنِ. تاج العروس (م ت ك).

(١٨٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ١٦٧.

(١٨٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٨-١٠٩.

(١٨٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر، ص ٦٤.

(١٩٠) التخيل التاريخي.. السرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، دار الفارس، ط١، ٢٠١١م، ص ٨.

(١٩١) التخيل التاريخي.. ، عبد الله إبراهيم، ص ٥.

(١٩٢) التخيل التاريخي، عبد الله إبراهيم، ص ٧.

(١٩٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٦.

(١٩٤) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٧.

(١٩٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٨.

(١٩٦) التخيل التاريخي، عبد الله إبراهيم، ص ٢٠.

(١٩٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٣.

(١٩٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٤.

(١٩٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٤٨.

(٢٠٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٠.

(٢٠١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٢.

(٢٠٢) ينظر: تاريخ الطبري، لأبي جعفر الطبري، ط٢، دار التراث بيروت،١٣٨٧هـ، ج٤/ ٢٢٧-٢٤١.

(٢٠٣) صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ١/ ٢٧، باب فض العلم.

(٢٠٤) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٤-٣٥.

(٢٠٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٥.

(٢٠٦) سورة الفتح: آية ١٠.

(٢٠٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٤.

(٢٠٨) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٤.

(٢٠٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٨.

(٢١٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، هيكل، ص ٤٨-٤٩. سورة الكهف:٤٥.

(٢١١) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٩.

(٢١٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٤.

(٢١٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٤.

(٢١٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٣١-٣٢.

(٢١٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٣٢.

(٢١٦) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٣٢-٣٣.

(٢١٧) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٨-١١٠.

(٢١٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١١١.

(٢١٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٢.

(٢٢٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٢.

(٢٢١) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٠-٦٩.

(٢٢٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٣.

(٢٢٣) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧١.

(٢٢٤) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٣.

(٢٢٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٣.

(٢٢٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٩.

(٢٢٧) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٧٠. وما قبلها

(٢٢٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٧٢. وما قبلها

(٢٢٩) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٧٦.

(٢٣٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٨٥.

(٢٣١) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٨٦- ٩٠.

(٢٣٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٩٣.

(٢٣٣) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار التحرير، سنة ١٩٦٨م، ٣/٥٤.

(٢٣٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٥.

(٢٣٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٦.

(٢٣٦) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٠.

(٢٣٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥١.

(٢٣٨) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٤.

(٢٣٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٥.

(٢٤٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥١-٥٢.

(٢٤١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٦.

(٢٤٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٤.

(٢٤٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٦.

(٢٤٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٦.

(٢٤٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٦.

(٢٤٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٧.

(٢٤٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٠٤.

(٢٤٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٤.

(٢٤٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص٨٧.

(٢٥٠) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص٣٧.

(٢٥١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠٤ -١٠٣.

(٢٥٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠٦ -١٠٤ بتصرف.

(٢٥٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٤-٥.

(٢٥٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٤.

(٢٥٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠.

(٢٥٦) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٣.

(٢٥٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٤.

(٢٥٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٨.

(٢٥٩) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٢.

(٢٦٠) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٤.

(٢٦١) ينظر: بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٧.

(٢٦٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٨. سورة الفتح، الآية ١٠.

(٢٦٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد هيكل، ص ١٢٢. سورة الرعد، الآية ١١.

(٢٦٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠. سورة الحجرات آية ١٣.

(٢٦٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٧٦-١٧٥.

(٢٦٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٢٧.

(٢٦٧) من قوله تعالى:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف ٥٣.

(٢٦٨) اقتباس من قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الا اللَّهُ.....﴾ " آل عمران من الآية:١٣٥.

(٢٦٩) اقتباس من قوله تعالى:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ " الأعراف من الآية: ١٥٦.

(٢٧٠) اقتباس من قوله تعالى:"﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُونَ﴾ الحجر: ٥٦.

(٢٧١) اقتباس من قوله:﴿ وَهُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾". الشورى: ٢٥.

(٢٧٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٣١.

(٢٧٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥٣.

(٢٧٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥٣.

(٢٧٥) ينظر صحيح مسلم باب فضل عثمان ٤/ ١٨٦٨، وصحيح البخاري وحديث " بئر أَرِيس" عن موسى الأشعري ٥/ ٨، حديث رقم ٣٦٧٤ .

(٢٧٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٢٦.

(٢٧٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤١.

(٢٧٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٤. والحديث في كتاب" فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، دار الرسالة، ط ١، ١٩٨٣، ٢/ ٧٣٤ ، رقم (١٢٦٣).

(٢٧٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٦. الحديث في كتاب: السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق: الالباني، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ٢/ ٦١٦، رقم (١٤١٥)

(٢٨٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٩. الحديث في كتاب: السنة، لابن أبي عاصم، ٢/ ٥٨٨، رقم (١٢٨٢).

(٢٨١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٠. والأبيات بلا نسبة في كثير من المصادر، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَحَلُوهُ الشَّمَّاخَ بْنَ ضِرَارٍ فَسَألُوهُ، فَقَال: ما قُلْتُهُ. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل١/٢٧٢.والأبيات من الطويل.

(٢٨٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٩.

(٢٨٣) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، خرج إلى الرسول وأقام معه بمكة حتى هاجر مع الرسول إلى المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد المواقع كلها مع النبي، واستعمله الرسول على حضرموت، وتوفى أول أيام معاوية. ينظر: أسد الغابة، تح: علي معوض، وآخر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، ٢/ ٣٣٩.

(٢٨٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٦.

(٢٨٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٩٧-٩٦.

(٢٨٦) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠٠، وص ١٣٠.

(٢٨٧) بين الخلافة والملك، هيكل، ص ٢٢.والبيت مع بيتين آخرين هو أوسطهم في تاريخ الطبري ٣/ ٢١٠.

(٢٨٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٢٢.والبيت منسوب لعدي بن زيد العبادي، في البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٩٩٧م، ١٦/ ٦٦٢ ، ولقد ذكر د.هيكل البيت بدون (واو) في أوله ، ودونها ينكسر الوزن، فالبيت من بحر الخفيف.

(٢٨٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤١.

(٢٩٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٦٢.

(٢٩١) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٩٧. هو أوس بن مغراء، من بني أنف الناقة، من تميم، شاعر، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمناً في الإسلام ،(ت ٥٥هـ). ينظر: الأعلام ٢/٣١.

(٢٩٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢١.

(٢٩٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٤٢.

(٢٩٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٤٥.

(٢٩٥) سورة النحل: ٨٩.

(٢٩٦) سورة النحل: ٤٤.

(٢٩٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢١٩.

(٢٩٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١١١.

(٢٩٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٨٧.

(٣٠٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٠٠.

(٣٠١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٦٤.

(٣٠٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٦٢.

(٣٠٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١١١.

(٣٠٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٥.

(٣٠٥) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٣٤.

(٣٠٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٤٦.

(٣٠٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٠٠.

(٣٠٨) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٣٢.

(٣٠٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٤.

(٣١٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٧٧.

(٣١١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٣٥.

(٣١٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢١٠.

(٣١٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٢.

(٣١٤) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤٩.

(٣١٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٦٥.

(٣١٦) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٢.

(٣١٧) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٦.

(٣١٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٧٦.

(٣١٩) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٩٤.

(٣٢٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٩.

(٣٢١) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، من صفحة ٢٠- حتى ٣٤.

(٣٢٢) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٠. وص٢٧.

(٣٢٣) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٢.

(٣٢٤) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٣٣، ٣٥.

(٣٢٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٣.

(٣٢٦) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٩٣.

(٣٢٧) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٩٩.

(٣٢٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٤١.

(٣٢٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٦٢-١٦١.

(٣٣٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٦٢.

(٣٣١) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ١٦٢.

(٣٣٢) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٧٥.

(٣٣٣) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٥٨.

(٣٣٤) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٩٥.

(٣٣٥) إحسان عباس، فن السيرة، ص ٧٠.

(٣٣٦) نعثل: هذا كان رجلا يهوديًّا من أهل المدينة يشبه عثمان في طول وكثافة لحيته. بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٢٤.

(٣٣٧) المشقص: سهم له نصل عريض. بين الخلافة والملك .. ، محمد هيكل، ص ١٢٤.

(٣٣٨) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ١٢٤.

(٣٣٩) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٢١.

(٣٤٠) الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٦٤.

(٣٤١) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، ص ٣٣-٣٤.

(٣٤٢) ينظر: محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص ١٤٩. بتصرف

(٣٤٣) عتبات، تأليف: جيرار جينيت، ترجمة: عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٥

(٣٤٤) ينظر: سميائية العنوان في شعر هدى ميقاتي، عامر رضا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج٦، ع٢، ٢٠١٤م، ص٩٣.

(٣٤٥) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان (المقدمة)، محمد حسين هيكل، ص ٧- ١٠.

(٣٤٦) عتبات، تأليف: جيرار جينيت، ص ٦٨

(٣٤٧) أعلام الأدب المعاصر في مصر، طه حسين جـ١، حمدي السكوت، وجونز، ص ٨٨.

(٣٤٨) السيمياء والتأويل، دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته، أحمد عمار مداس، ط١، عالم الكتب الحديث – الأردن، ٢٠١١م، ص٨.

(٣٤٩) عتبات، تأليف: جيرار جينيت، ص ١٢٥.

(٣٥٠) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان (المقدمة)، محمد حسين هيكل، ص١٠.

(٣٥١) بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان (المقدمة)، محمد حسين هيكل، ص١٠.

(٣٥٢) عتبات، تأليف: جيرار جينيت، ص ١٢٥.

(٣٥٣) ينظر: الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، ص ٢٣٥- ٢٣٩.

(٣٥٤) عتبات، تأليف: جيرار جينيت، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣٥٥) ينظر: في منزل الوحي [المقدمة]، محمد حسين هيكل، ص ١٩.

(٣٥٦) الدكتور محمد حسين هيكل، طه وادي، ص ١٢٢.

(٣٥٧) في منزل الوحي [المقدمة]، محمد حسين هيكل، ص ٢١.

(٣٥٨) محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، ص ١٥٩.

(٣٥٩) ينظر: الدكتور محمد حسين هيكل، طه وادي، ص ١٢٣- ١٢٥. ومذكرات الشباب، ص ١٠٤.

(٣٦٠) مذكرات الشباب، ص ٨٦.

(٣٦١) كتب وشخصيات، سيد قطب، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣٦٢) مذكرات في السياسة، ١/ ٣٢٨. وينظر: الدكتور محمد حسين هيكل، طه وادي، ص ١٢٩.

(٣٦٣) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر(١) طه حسين، حمدي السكوت، وجونز، ١/ ٧٦.

(٣٦٤)النقد الأدبي، سيد قطب، ص١٠٤.

• المصادر والمراجع:

٠.أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر– لونجمان، دار نوبار للطباعة، ١٩٩٢م.

١.الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، ط ١٠، دار المعارف.

٢.أديب، طه حسين، مهرجان القراءة للجميع – وزارة الثقافة – مصر، طبعة سنة ١٩٩٨م.

٣.أعلام الأدب المعاصر في مصر، طه حسين جـ١، جمدي السكوت، وماردن جونز، ط٢، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني،١٩٨٢م.

٤. الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر بيروت.

٥. أنا، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، طبعة سنة ١٩٦٠م.

٦.الأيام، طه حسين، ط٤١، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٧.بين الخلافة والملك .. عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، دار المعارف – مصر.

٨. تاريخ الطبري، لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط٢، دار التراث بيروت،١٣٨٧هـ.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠.التخيل التاريخي.. السرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، دار الفارس، ط١، ٢٠١١م.

١١.التراجم والسير، قدم له : محمد عبد الغني حسن، من كتب سلسلة فنون الأدب العربي الفن القصصي التي يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء

الأقطاب العربية، دار المعارف، سنة ١٩٥٥م.

١٢.الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د/ ت. ط).

١٣.التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، ط.١ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١ بيروت١٩٩٩م.

١٤. الخالدون مائة .. أعظمهم محمد رسول الله، تأليف: مايكل هارت، ترجمة : أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.

١٥.خورخي سمبرون.. الأنا، التخييل، التاريخ، دنيال ريو، ترجمة: كاميليا صبحي، مجلة فصول، العدد ٦٧، صيف-خريف ٢٠٠٥م.

١٦.الدكتور محمد حسين هيكل.. حياته وتراثه الأدبي، طه عمران وادي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م.

١٧.زينب، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

١٨.السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق: الالباني، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٩. سيرة أحمد بن طولون، تأليف أبو محمد عبد الله المديني البلوي، تحقيق: محمد كرد علي، مؤسسة هنداوي.

٢٠.السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، يمنى العيد، دراسة في ثلاثية حنا مينا، مجلة فصول، م١٥،ع ٤، ١٩٩٧م.

٢١. السيرة الذاتية..الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون، ترجمة وتقديم/ عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٢.سميائية العنوان في شعر هدى ميقاتي، عامر رضا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج٦،ع٢، ٢٠١٤م.

٢٣.السيمياء والتأويل، دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده ومستوياته، أحمد عمار مداس، ط١، عالم الكتب الحديث – الأردن، ٢٠١١م.

٢٤.شرح ديوان الحماسة "لأبي علي المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٣م.

٢٥.صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٦.الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار التحرير، سنة ١٩٦٨م.

٢٧.طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، عبد العزيز شرف، ط٢، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع– تونس، سنة ١٩٨٨م.

٢٨.عتبات تأليف: جيرار جينيت، ترجمة: عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٩.الفتنة الكبرى .. عثمان، طه حسين، دار المعارف – مصر.

٣٠.فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، دار الرسالة، ط ١، ١٩٨٣م.

٣١.فن السيرة، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دار الشروق ، عمان ، ط١، ١٩٩٦م.

٣٢.في أوقات الفراغ، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٣٣. في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٤م.

٣٤.ما بعد الأيام، محمد حسن الزيات، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع– القاهرة، طبعة سنة ٢٠١٨م.

٣٥.المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، طه حسين، دار الكتاب لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٦.محمد حسين هيكل.. أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق،١٩٩٨م.

٣٧.مذكرات في السياسة المصرية، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م.

٣٨.معك، سوزان طه حسين، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: محمود أمين العالم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

فهرس المحتوى

١. المقدمة : ٣١٩٥
٢. التمهيد : بين التراجم الذاتية والغيرية والسير: ٣٢٠١
٣. المبحث الأول: الترجمة الذاتية بين الأديبين: ٣٢٠٥
- أولاً: معالم الذات عند الأديبين: (تصوير الذات– البعد النفسي – أثر البيئة – دور المرأة – معالم البناء الفني).....٣٢٠٥
- ثانياً: الفروق الجوهرية في الترجمة الذاتية بين الأديبين.....٣٢٣٨
٤. المبحث الثاني: الترجمة الغيرية بين الأديبين.. ترجمة الشخصيات الإسلامية.. .....٣٢٤٣
- أولاً: أبعاد شخصية عثمان بن عفان نموذجاً..... ٣٢٤٤
– الملامح الذاتية والصفات النفسية والدينية.....٣٢٤٥
– بين المرجعية التاريخية والتخييل.....٣٢٥١
– البعد الخارجي والاجتماعي.....٣٢٦١
- ثانياً: معالم البناء للترجمة الغيرية عند الأديبين ٣٢٦٧
- ثالثاً: من الملامح العامة للتراجم التي ظهرت عند الأديبين بصفة عامة وفي تراجمهما للشخصيات الإسلامية على وجه الخصوص..... ٣٢٩٢
٥. الخاتمة: ٣٢٩٥
٦. المصادر والمراجع:.....٣٣١٦
٧. فهرس المحتوى: ٣٣٢٠